

المسحاة

مجلة

المجلد السابع عشر
الجزء الثاني



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

(المجلد السابع عشر)

٨١

(الجزء الثاني)

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

المعراج
١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول فينبهون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

مصر سلخ صفر ١٣٣٢ هـ ق ٧ الشتاء الثاني ١٢٩٢ هـ ش ٢٦ يناير ١٩١٤

(المجلد السابع عشر)

(١١)

(المنار - ج ٢)

فتاوى المفتين

الفتحا هذا الباب لأجابه أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده ومهله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف إن شاء، وأننا نذكر الأسئلة بالتدريج فالأول وما قدمنا من آخر السبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا، وإن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة إن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر صحيح لأغفاله

﴿ الموالد بدعة أم سنة ﴾

(س ١) من صاحب الامضاء في فليمينج (سومطرة)

من فليمينج إلى القاهرة في ٢٥ المحرم عام ١٣٣٢

جناب الاستاذ مرشد الامة ورشيدها سيدي محمد رشيد رضا ادام المولى وجوده . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ارجو من فضلكم اجابة السؤال الآتي على صفحات المنار . ما قول سيدي في قراءة القصص المسماة بالموالد هل هي سنة أم بدعة ؟ ومن اول من فعل ذلك ؟ واي الموالد المتداولة بين ايدينا اخرى بالقراءة واحسن ؟ فان كثيرين من رجال المناصب يزعمون ان مولد الديهي هو امثل الموالد وافضلها وان روح النبي صلى الله عليه وسلم تحضر عند قراءته خلافا للموالد الاخرى . ارجو ان تفضل بازالة الاشكال والجواب على هذا السؤال ولكم الفضل اولا وآخرا ودمتم والسلام (طالب الدعا منكم السيد عقيل بن عبدالله بن عقيل الحبشي)

{ ج } هذه الموالد بدعة بلا نزاع ، وأول من ابتدع الاجتماع لقراءة قصة المولد النبوي احد ملوك الشراكسة بمصر . وقد شرحنا ما في هذه الاحتفالات التي يسمونها الموالد بمصر في مجلد السنة الاولى من المنار ثم في غيره من المجلدات . ولم نطلع على قصة من قصص المولد النبوي الشريف الا ورأينا فيها كثيرا من الاخبار الموضوعة . حتى جمع صديقنا عالم الشام الشيخ جمال الدين القاسمي من كتب الصحاح والسنن اصح وامثل ما ورد في ذلك و (شذرة من السيرة النبوية) وقد طبع في مغربتنا وصار محبو السنة ومبغضو البدعة يستغنون به عن تلك القصص المشحونة بالموضوعات والا كاذيب التي يؤثرها الجهال زعماء منهم انها اكثر تعظيما للنبي (ص) وقد اغناه الله تعالى بفضل العظم عليه عن تعظيم غيره له بالكذب في سيرته . ولم نطلع على مولد الديهي . فان كان هو الحدث المشهور فالمرجو ان يكون ما كتبه خاليا عن الموضوعات ، وان لم يخل من الضعاف التي يتساهلون بها في ذكر المناقب .

﴿قراءة البخاري لطلب النصر في الحرب﴾

(س ٢) من علي أفندي مهيب (بديوان عموم التفرقات) بمصر (تاخر)

حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد قرأت في الجرائد في الايام الاولى للحرب الحاضرة بين الدولة العلية ودول البلقان ان صاحب الفضيلة شيخ الجامع الازهر كلف حضرات العلماء بقراءة البخاري امام القبلة طلباً للنصر من الله سبحانه. فهل ورد شيء عن قراءة حديث الرسول صلى الله عليه وسلم اثناء الحرب طلباً للنصر؟ ولماذا لم يقرأ كلام الله سبحانه بالاولى اذا كانت التلاوة تغني عن العمل؟ أرجو الافادة على صفحات المنار الاغر ولحضرتكم جزيل الشكر.

(ج) جاءنا هذا السؤال في اثناء الحرب الاخيرة فوضعه بين الاسئلة الكثيرة ولم يتفق وقوعه بيدنا الا الآن. وموضوعه يتكرر عند الحرب وغير الحرب من المصائب كالوباء والقحط والجواب انه لا يعقل أن يكون قد ورد في الكتاب أو السنة أمر أو ترغيب بقراءة أحاديث الرسول (ص) لطلب النصر أو رفع المصائب ولا أن يكون ذلك معروفاً في الصدر الاول. فان الاحاديث لم تكن مدونة في زمن الخلفاء الراشدين (رض) وانما دونت في زمن التابعين، وأول من أمر بجمعها ونشرها عمر بن عبد العزيز (رض) ولم يكن التابعون ولا تابعو التابعين يقرءونها لتكون قراءتها سبباً للنصر. وانما فعل ذلك المتأخرون ولا أدري في أي زمن أحدثوا ذلك، وما أظن ان أحداً من أهل العلم يقول ان هذا سنة أو مأثور به شرعاً، ولعل أقوى ما يمكن أن يقوله في سببه: اننا نجتمع للدعاء ونقرأ قبل الدعاء طائفة من أحاديث الرسول (ص) لما يرجى من تأثيرها في حضور القلب، والخشوع للرب، الذي يرجى أن يكون سبباً لاستجابة الدعاء. وعلى هذا يتجه السؤال الثاني وهو « لماذا لا يقرأ كلام الله سبحانه »

وما أظن ان حداً من أهل العلم يقول ان قراءة الحديث أو القرآن في المساجد بنية نصر الحاربين سبب لنصر الحاربين في ميدان القتال، وقد بين الله تعالى أسباب النصر في كتابه وأمر بها وأهمها اعداد ما يستطيع من القوة في كل زمن والثبات وذكر الحاربين لله تعالى في ثلوبهم عند لقاء العدو، كذكر وعده باحدى الحسينين وثوابه للشهداء، وبألسنتهم كالتكبير فانه يعلي الهمة ويقوي الامل والرجاء. وقد بينا ذلك بالتفصيل غير مرة. وقد ظهر المشركون على المسلمين في أحد وحنين والنبي (ص) معهم وأنزل الله تعالى في أحد (أو لما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا؟ قل هو من عند أنفسكم) فراجع تفسيرها في المنار أو في الجزء الخامس من التفسير، ان شئت زيادة الايضاح والتفصيل.

التصوف الإسلامي الصحيح

(فصل من كتاب مدارج السالكين ، بين منازل « إياك نعبد وإياك نستعين »)

للامام العلامة الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى

في مشاهد الخلق في المعصية وهي ثلاثة عشر مشهداً (١) : مشهد الحيوانية وقضاء الشهوة - ومشهد اقتضاء رسوم الطبيعة ولوازم الخلقة - ومشهد الجبر - ومشهد القدر - ومشهد الحكمة - ومشهد التوفيق والخذلان - ومشهد التوحيد - ومشهد الاسماء والصفات - ومشهد الايمان ونعقد شواهد - ومشهد الرحمة - ومشهد المعجز والضعف - ومشهد الذل والافتقار - ومشهد المحبة والمبودية . فالاربعة الاول المنحرفين ، والثمانية البواقى لاهل الاستقامة . واعلاها المشهد العاشر . وهذا الفصل من أجل فصول الكتاب وأنفعها لكل أحد ، وهو حقيق بأن تنبني عليه الخناصر ، ولعلك لا تظفر به في كتاب سواه ، الا ما ذكرناه في كتابنا المسمى بسفر المهجرتين ، في طريق السعادتين

﴿ فصل ﴾

فأما (مشهد الحيوانية وقضاء الشهوة) فشهد الجهال ، الذين لا فرق بينهم وبين سائر الحيوان الا في اعتدال القامة ونطق اللسان ، ليس همهم الا مجرد نيل الشهوة بأي طريق أفضت اليها . فهؤلاء نفوسهم نفوس حيوانية ، لم ترق عنها الى درجة الانسانية ، فضلاً عن درجة الملائكة . فهؤلاء حالهم اخس من ان تذكر ، وهم في

{١} المعنى المراد من لفظ المشهد هو ما يغلب على اعتقاد الانسان أو وجدانه وشعوره في معصيته أو معصية غيره ، ومثله كل عامل في عمله ، ويعبر بعض الناس الآن عن مثل هذا المعنى بالملاحظة . فيقال علي عرفهم : إن العامي الجاهل لا يلاحظ في المعصية الا إرضاء شهوته . ولكن الطبيب الجاهل يلاحظ معنى آخر مع قصد الشهوة ودوان هذا العمل من الوظائف الطبيعية لبعض اعضاء الجسم . وعلى ذلك فقس

١١٤ البشر الذين يعيشون بنفوس اليهاثم والحشرات (المزارع ١٧م٢)

أحوالهم متفاوتون بحسب تفاوت الحيوانات التي هم على اخلاقها وطبائعها
(فمنهم) من نفسه كلبية لو صادف جيفة تشبع ألف كلب اوقع عليها وحماها من
سائر الكلاب ، ونجح كل كلب يدنو منها ، فلا تقربها الكلاب الا على كره منه
وغلبة ، ولا يسمح لكلب بشيء منها ، وهمه شبع بطنه من أي طعام اتفق : ميتة
او مذكي ، خبيث او طيب . ولا يستحي من قبيح ، ان تحمل عليه يلث أو تتركه
يلث ، ان اطعمته بصبر بذبذبه ودار حولك ، وان منعه هرك ونبحك .
(ومنهم) من نفسه حمارية لم تخلق الا للكد والماف ، كلما زيد في عافه
زيد في كده ، ابكم الحيوان واقله بصيرة . ولهذا مثل الله سبحانه وتعالى به من
حملة كتابه فلم يعرفه معرفة ولا فقها ولا عملاء ومثل بالكلاب عالم السوء الذي آتاه الله
آياته فانسلخ منها وأخذ الى الارض واتبع هواه . وفي هذين المثالين اصرار عظيمة
ليس هذا موضع ذكرها .

(ومنهم) من نفسه سبعة غشبية همته المدران على الناس وقهرهم بما وصلت
اليه قدرته ، طبيعته تقاضي ذلك كتقاضي طبيعة السبع لما يصدر منه .
(ومنهم) من نفسه فارية ، فاسق بطامه ، مفسد لما جاوره ، تسبيحه بلسان الحال :
سبحان من خلقه للفساد .

(ومنهم) من نفسه على نفوس ذوات السموم والحماة ، كالحية والعقرب
وغيرهما ، وهذا الضرب هو الذي يؤذي بهينه فيدخل الرجل القبر ، والجل القدر ،
والمين وحدها لم تفعل شيئا وانما النفس الخبيثة السمية تكيفت بكيفية غشبية مع
شدة حسد واعجاب ، وقابلت الممين على غرة منه وغفلة ، وهو اعزل من سلاحه ،
فلدغته ، كالحية التي تنظر الى موضع مكشوف من بدن الانسان فنهشه ، فاما عطب
واما اذى . ولهذا لا يتوقف اذى المائن على الرؤية والمشاهدة ، بل اذا وصف له
الشيء الغائب عنه وصل اليه اذاه . والذنب لجل الممين وغفلته وغرته عن حمل
سلاحه كل وقت . فالمائن لا يؤثر في شاكبي السلاح ، كالحية اذا قابلت درعا
سابغا على جميع البدن ليس فيه موضع مكشوف ، فحق على من أراد حفظ نفسه
وحمايتها أن لا يزال متدرعا متحصنا ، لا بسا اداة الحرب ، مواظبا على أوراد التهوذات

(المنار-ج ٢ م ١٧) البشر الذين يعيشون بنفوس البهائم والحشرات ١١٥

والتحصينات النبوية التي في السنة والتي في القرآن (١) .

وعلى هذا الشبه اعتماد أهل التعبير للرؤيا في رؤية هذه الحيوانات في المنام عند الانسان وفي داره أو أنها تحاربه . وهو كما اعتمدوه . وقد وقع لنا ولاغيرنا من ذلك في المنام وقائع كثيرة . فكان تأويلها مطابقا لا قوام على طباع تلك الحيوانات . وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم في قصة أحد بقراتنحر ، فكان ما أصيب من المؤمنين بنحر الكفار ، فان البقر أنفع الحيوان للارض وبها صلاحها وفلاحها مع ما فيها من السكينة والمنافع والذل (بكسر الذال) فانها ذلول مذلة منقادة غيرأية ، والجواميس كبارهم ورؤسائهم (٢) ورأى عمر بن الخطاب كأن ديكاً نقره ثلاث نقرات ، فكان طمن أبي ثؤلوة اه . والديك رجل أعجبي شريبر .

ومن الناس من طبعه طبع خنزير يمر بالطيبات فلا يلوى عليها ، فاذا قام الانسان عن رجليه قه . وهكذا كثير من الناس يسم منك ويرى من المحاسن أضاف أضاف المساوي ، فلا يحفظها ولا ينقلها ولا تناسبه ، فاذا رأى سقطه أو كلمة عوراء وجد بغيته وما يناسبها فجعلها فأكته ونقله

(ومنهم) من هو على طبيعة الطاوس ليس له الا ان يملوس والذين بالربش وما ين ، ذلك شيء (ومنهم) من هو على طبيعة الجمل أحقد الحيوان وأغلظه كيدا (ومنهم) من هو على طبيعة الدب أبكم خبيث ، وعلى طبيعة القرد (٣)

أحمد طبائع الحيوانات طبائع الخيل التي هي أشرف الحيوانات نفوسا وأكرما طبعا ، وكذلك الغنم ، وكل من ألف ضربا من ضروب هذه الحيوانات اكتسب من طبعه وخلقه ، فان تغذى بلحمه كان الشبه أقوى . فان الغاذي شبيه بالمتغذي (٤) . ولهذا حرم الله أكل لحوم السباع وجوارح الطير لما يورث آكله (٥) من شبه

{١} حذفنا من هذا الموضع بحثا وجيزا في عقاب من ثبت انه يؤدي بغيته ، وانه ان قتل بالعين لا يقتل بالسيف لان الجزء من جنس العمل

{٢} أي كبار الناس النافعين ورؤسائهم . أي تعتبر رؤيتها في المنام بذلك

{٣} أي في إفساد كل ما تصل اليه يده (٤) وفي نسخة « المتغذي »

{٥} وفي نسخة « أكلها »

١١٦ مشهد الأطباء والفلاسفة وأصحاب الجبرية في المعصية (المنار-ج ١٧م٢)

نفوسها بها والله أعلم . والمقصود أن أصحاب هذا المشهد ليس لهم شهود سوى ميل نفوسهم وشهواتهم لا يعرفون ما وراء ذلك ألبتة

﴿ فصل ﴾

(المشهد الثاني مشهد رسوم الطبيعة ولوازم الخلقة)

كشده زنادقة الفلاسفة والأطباء الذين يشهدون ان ذلك من لوازم الخلقة والطبيعة الانسانية ، وان تركيب الانسان من الطبائع الاربع وامتزاجها واختلاطها كما يقتضي بغي بعضها على بعض وخروجه عن الاعتدال بحسب اختلاف هذه الاخلاط ، فكذلك تركيبه من البدن والنفس والطبيعة والاخلاط الحيوانية يتقاضاه اثر هذه الخلقة ورسوم تلك الطبيعة ، ولا تنقهر الا بقاهر إما من نفسه واما من خارج عنه . وأكثر النوع الانساني ليس له قاهر من نفسه ، فاحتياجه الى قاهر فوقه يدخله تحت سياسة وإيالة ينتظم بها أمره ضرورية (١) كحاجته الى مصالحه من الطعام والشراب واللباس . وعند هؤلاء ان الماقل متى كان له وازع من نفسه قاهر لم يحتج الى أمر غيره ونهيه وضبطه (٢) . فمشهد هؤلاء من حركات النفس الاختيارية الموجبة للجنايات ، كشدهم من حركات الطبيعة الاضطرابية الموجبة للتغيرات (٣) وليس لهم مشهد وراء ذلك .

﴿ فصل ﴾

(المشهد الثالث مشهد أصحاب الجبر)

وهم الذين يشهدون أنهم مجبورون على أفعالهم ، وانها واقعة بغير قدرتهم ، بل لا يشهدون أنها أفعالهم البتة . ويقولون : ان أحدهم غير فاعل في الحقيقة ولا قادر ، وان الفاعل فيه غيره والمحرك له سواه ، وانه آلة محضة ، وحركاته بمنزلة هبوب الريح وحركات الاشجار . وهؤلاء اذا أنكرت عليهم أفعالهم احتجوا بالقدر وحملوا ذنوبهم عليه ، وقد يغفلون في ذلك حتى يروا أفعالهم كلها طاعات خيرها وشرها ،

(١) كان الظاهر أي يقال « ضروري » لانه خبر قوله فاحتياجه

(٢) كذا (٣) وفي نسخة التغيرات

(المناجح ٢ م ١٧) مشهد القدرية الذين يدعون الاستقلال بخلق أعمالهم ١١٧

لموافقتها المشيئة والقدر . ويقولون : كما أن موافقة الأمر طاعة ، فوافقه المشيئة طاعة . كما حكى الله تعالى عن المشركين إخوانهم أنهم جعلوا مشيئة الله تعالى لأفعالهم دليلاً على أمره بها ورضاه .

وهؤلاء شر من القدرية النفاة ، وأشدّ عداوة لله ، ومناقضة لكتبه ورسوله ودينه ، حتى أن من هؤلاء من يعتذر عن إبليس ويتوجع له ويقيم عذره بمجده ، وينسب ربه تعالى إلى ظلمه بلسان الحال والمقال ، ويقول : ما ذنبه وقد صان وجهه عن السجود لغير خالقه ؟ وقد وافق حكمه ومشيتته فيه وأرادته منه ؟ ثم كيف يمكنه السجود وهو الذي منعه منه وحال بينه وبينه ؟ وهل كان في ترك السجود لغير الله إلا محسناً ؟ ولكن :

إذا كان الحب قليل حفظ فما حسنة إلا ذنوب

وهؤلاء أعداء الله حقاً ، وأولياء إبليس وأجباؤه وأخوانه . وإذا نأح منهم نأح على إبليس وأيت من البكاء والحزن أمراً عجيباً ، ورأيت من تظلم الاقدار ، واتهام الجبار ، ما يبدو على فئات المستهم وصفحات وجوههم ، وتسمع من أحدهم من التظلم والتوجع ما تسمعه من الخصم المغلوب العاجز عن خصمه . فهؤلاء هم الذين قال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية في تأييده :

ويدعى خصوم الله يوم معادهم إلى النار طراً فرقة القدرية

﴿ فصل ﴾

(المشهد الرابع مشهد القدرية النفاة)

ويشهدون أن هذه الجنايات والذنوب هم الذين أحدثوها ، وأنها واقعة بمشيئتهم دون مشيئة الله تعالى ، وأن الله لم يقدر ذلك عليهم ولم يكتبه ولا شاءه ولا خلق أفعالهم ، وأنه لا يقدر أن يهدي أحداً ولا يضله إلا بمجرد البيات ، لا أنه يلهيه الهدى والضلال ، والفجور والتقوى ، فيجعل ذلك في قلبه . ويشهدون أنه يكون في ملك الله ما لا يشاؤه ، وأنه يشاء ما لا يكون ، وإن المباد خالقون لأفعالهم بدون مشيئة الله . فالمعاصي والذنوب خلقهم وموجب مشيئتهم ، لا أنها خلق الله

١١٨ مشهد حكمة الله تعالى في ذنوب البشر وعقابهم (المنار-ج ١٧م ١٧)

ولا تتعلق بمشيئته . وهم لذلك مبخوسو الحظ جدا من الاستعانة بالله والتوكل عليه والاعتصام به ، وسؤاله ان يهديهم ، وان يثبت قلوبهم وان لا يزيغها ، وأن يوفقهم لمرضاته ويجنبهم معصيته . اذ هذا كله واقع بهم وعين أفعالهم لا يدخل تحت مشيئة الرب . والشیطان قد رضي منهم بهذا القدر ، فلا يؤزهم إلى المعاصي ذلك الأثر ، ولا يزعجهم اليها ذلك الإزعاج . وله في ذلك غرضان مهمان (أحدهما) ان يقرر في قلوبهم صحة هذا المشهد وهذه العقيدة ، وأنكم تاركون الذنوب (١) والكبائر التي يقع فيها أهل السنة . فدل على أن الأمر مفوض اليكم واقع بكم ، وأنكم الماصمون - لا أنفسكم المانعون لها من المعصية (الغرض الثاني) أنه يصطاد على أيديهم الجهال ، فاذا رأوهم أهل عبادة وزهادة وتورع عن المعاصي وتمظيم لها قالوا : هؤلاء هم أهل الحق . والبدعة آثر عنده واحب اليه من المعصية ، فاذا ظفربها منهم ، واصطاد الجهال على أيديهم ، كيف يأمرهم بالمعصية؟ بل ينههم عنها ويقبحها في أعينهم وقلوبهم ، ولا يكشف هذه الحقائق الا ارباب البصائر .

﴿ فصل ﴾

(المشهد الخامس وهو احد مشاهد اهل الاستقامة : مشهد الحكمة)

وهو مشهد حكمة الله في تقديره على عبده ما يفيضه سبحانه ويكرهه ، ويلوم ويماقب عليه ، وانه لو شاء لمصمه منه ، ولحال بينه وبينه ، وانه سبحانه لا يعصي قسرا ، وانه لا يكون في العالم شيء الا بمشيئته (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)

وهؤلاء يشهدون ان الله سبحانه لم يخلق شيئا عبثا ولا سدى ، وانه له الحكمة الباقية في كل ما قدره وقضاه من خير وشر ، وطاعة ومعصية ، وحكمة باهرة تعجز العقول عن الاحاطة بكنهاها ، وتكمل الاسن عن التعبير عنها ، فصدر قضائه وقدره لما يفيضه ويسخطه اسمه الحكيم الذي بهرت حكمته الابواب ، وقد قال تعالى ملائكته لما قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) فاجابهم سبحانه بقوله (اني اعلم ما لا تعلمون) فله سبحانه في ظهور المعاصي

(١) وفي نسخة « تاركو الذنوب »

والذنوب والجرائم وترتب آثارها من الآيات والحكم، وأنواع التعريفات إلى خلقه، وتنويع آياته، ودلائل ربوبيته ووحدانيته، وإلهيته وحكمته وعزته، وتأميم ملكه وكآله قدرته، وإحاطة علمه، ما يشهده أولو البصائر عيانا بمصائر قلوبهم، فيقولون (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه!) أن هي إلا حكمتك الباهرة وآياتك الظاهرة

ولله في كل تحريكة وتسكينة أبدا شاهد

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فكم من آية في الأرض بينة دالة على الله وعلى صدق رسوله وعلى أن لقاءه حق، كان سببها معاصي بني آدم وذنوبهم، كآيته في إغراق قوم نوح، وعلو الماء على رؤوس الجبال، حتى أغرق جميع أهل الأرض، ونجى أوليائه وأهل معرفته وتوحيده. فكم في ذلك من آية وعبرة، ودلالة باقية على ممر الدهور، وكذلك إهلاك قوم عاد وثمود، وكم له من آية في فرعون وقومه من حنين بمث موسى إليهم؟ بل قبل مبشئه إلى حنين إغراقهم، لولا معاصيهم وكفرهم لم تظهر تلك الآيات والعجائب. وفي التوراة أن الله تعالى قال لموسى: اذهب إلى فرعون فإني سأقسي قلبه وامنعته عن (١) الإيمان لا تظهر آياتي وعجائبي بمصره وكذلك فعل سبحانه فأظهر من آياته وعجائبه بسبب ذنوب فرعون وقومه ما أظهر. وكذلك أظهره سبحانه ما أظهر من جعل النار بردا وسلا على إبراهيم، بسبب ذنوب قومه ومعاصيهم، وإلقاءهم له في النار، حتى صارت تلك آية، وحنى نال إبراهيم ما نال عن كمال الخلقة.

وكذلك ما حصل للرسول من التكرامة والمنزلة والرفق عند الله والوجاهة عنده بسبب صبرهم على أذى قومهم وعلى محاربتهم لهم ومعاداتهم. وكذلك اتخذ الله تعالى الشهداء والأولياء والأصفياء من بني آدم، بسبب صبرهم على أذى بني آدم من أهل المعاصي والظلم ومجاهدتهم في الله، وتحملهم لأجله من أعدائه ما هو بعينه وعلمه، واستحقاقهم بذلك رفعة الدرجات. - إلى غير ذلك من المصالح والحكم التي وجدت بسبب ظهور المعاصي والجرائم، وكان من سببها تقدير ما يفيضه الله ويسخطه، وكان ذلك محض الحكمة، لما يترتب عليه مما هو أحب إليه وأمر عنده

{١} وفي نسخة «من»

١٢٠ الحكمة في معصية آدم وما ترتب عليها من الخير (المنار-ج ٧م ١٧)

من فوته بتقدير عدم المعصية . فحصل هذا المحبوب العظيم ، أحب إليه من فوات ذلك المبعوض المسخوط ، فإن فواته وعدمه وإن كانت محبوبة إليه لكن حصول هذا المحبوب الذي لم يكن يحصل بدون وجود ذلك المبعوض أحب إليه ، وفوات هذا المحبوب ، أكره إليه من فوات ذلك المكروه المسخوط ، وقال حكمته تقتضي حصول أحب الأمور إليه بفوات أدنى المحبوبين ، وإن لا يعطل هذا الأحب بتعطيل ذلك المكروه . وفرض الذهن وجود هذا بدون هذا ، كفرضه وجود المسببات بدون أسبابها ، والملازمات بدون لوازمها ، مما تمنعه حكمة الله وقال قدرته وبربريته .

وبكفي من هذا مثال واحد وهو أنه أولا المعصية من أبي البشر بأكله من الشجرة لما ترتب على ذلك ما ترتب من وجود هذه المحبوبات العظام للرب تعالى ، من امتحان خلقه وتكليفهم ، وإرسال رسله ، وإنزال كتبه ، وإظهار آياته وعجائبه ، وتنويعها وتصريفها ، وإكرام أوليائه ، وإهانة أعدائه ، وظهور عدله وفضله وعزته وإتقائه ، وعفوه ومغفرته ، وصفحه وحلمه ، وظهور من يعبد ويحبه ويقوم بمراضيه بين أعدائه في دار الابتلاء والامتحان . فلو قدر أن آدم لم يأكل من الشجرة ولم يخرج من الجنة هو وأولاده ، لم يكن شيء من تلك ، ولا ظهر من القوة إلى الفعل ما كان كامنا في قلب إبليس بطمه الله ولا تعلمه الملائكة ، ولم يتميز خبيث الخلق من طيبه ، ولم تنم المملكة حيث لم يكن هناك إكرام وثواب ، وعقوبة وإهانة ، ودار سعادة وفضل ، ودار شقاوة وعدل .

وكم في تسليط أوليائه على أعدائه ، وتسليط أعدائه على أوليائه ، والجمع بينهما في دار واحدة ، وابتلاء بعضهم ببعض ، من حكمة بالغة ، ونعمة سائغة ؟ وكم في طيها من حصول محبوب للرب ، وحمد له من أهل سمواته وأرضه ، وخضوع له وتذلل ، وتعبد وخشية وافتقار إليه ، وانكسار بين يديه ؟ أن لا يجعلهم من أعدائه ، إذ هم يشاهدونهم ويشاهدون خذلان الله لهم ، وإعراضه عنهم ، ومقتله لهم ، وما أعد لهم من العذاب . وكل ذلك بمشيئته وإرادته ، وتصرفه في مملكته ، فأوليائه من خشية خذلانه خاضعون مشفقون ، على أشد وجل وأعظم مخافة وأتم انكسار . فإذا رأت

(المناجـج ٢ م ١٧) معنى القدر وكونه ليس بالجبر ولا بالخلق المستأنف ١٢١

الملائكة إبليس وما جرى له ، وهاروت وماروت ، وضمت رؤوسها بين يدي الرب خضوعاً لمظمته ، واستكانة لعزته ، وخشية من إبعاده وطرده ، وتذلاً لهيبته ، وافتقاراً إلى عصمته ورحمته ، وعلمت بذلك منته عليهم ، وإحسانه إليهم ، وتخصيصه لهم بفضلهم وكرامته .

وكذلك أولياؤه المتقون ، إذا شاهدوا أحوال أعدائه ومقتله لهم ، وغضبه عليهم ، وخذلانه لهم ، ازدادوا له خضوعاً وذلاً ، وافتقاراً وانكساراً ، وبه استمانته ، وإليه إنابة ، وعليه توكل ، وفيه رغبة ، ومنه رهبة ، وعلموا أنهم لا ملجأ لهم منه إلا إليه ، وأنهم لا يعيذهم من بأسه إلا هو ، ولا ينجيهم من سخطه إلا مرضاته ، فالفضل بيده أولاً وآخرها

وهذه قطرة من بحر حكمته المحيطة بخلقته . والبصير يطالع بصيرته ما وراءه فيطالع على عجائب من حكمته لا تبلغها العبارة ، ولا تناها الصفة . وأما حفظ العبد في نفسه وما يخصه من شهود هذه الحكمة فبحسب استعداده وقوة بصيرته ، وكمال علمه ومعرفته بالله وأسمائه وصفاته ، ومعرفته بحقوق اليهودية والربوبية ، وكل مؤمن له من ذلك شرب معلوم ، ونظام لا يتمداه ولا يتخطاه (١)

(١) بقي من بيان حكمة الله تعالى في تقدير الكفر والمعاصي كفة ضرورية لا يتم بدونها . وهي معنى ذلك التقدير ، وكونه لا دلالة فيه ولا اقتضاء للجبر والاكراه على الفعل . وذلك أنه تعالى خالق الناس مختارين في أفعالهم ، يمولونها بإرادتهم ، حسب علمهم أو ظنهم بأن فعل كذا أو تركه خير لهم . فكل عمل من أعمالهم حلقة من سلسلة الأسباب والمسببات قبله حلقة الاختيار ، وهذا الترتيب هو التقدير ، فالقدر جعل المسببات على قدر الأسباب ، وانتظام الجميع في سلسلة واحدة . وضده الخلق الأقف الذي هو مذهب القدرية . ومعناه أن الله تعالى يخلق كل شيء يقع في الكون ابتداء واستئنافاً لا يكون شيء من الحوادث مبني على تقدير ونظام سابق ، تكون فيه الأسباب على قدر المسببات ، والنتائج أرى لترتيب المقدمات . فكل مخلوق له علم وإرادة واختيار يطيع أو يبصير باختياره الذي هو من قدر الله ، ولا يخلق الله كل عمل يصدر منه خلقاً مستأنفاً كما يزعم منكرو القدر العميان . وله في هذا التقدير حكم كثيرة أشار المصنف إلى طائفة منها ، والله عليم حكيم

(المجلد السابع عشر)

(١٦)

(المناجـج ٢)

﴿ فصل ﴾

(المشهد السادس مشهد التوحيد)

وهو أن يشهد انفراد الرب تبارك وتعالى بالخلق والحكم ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه لا تتحرك ذرة الا بإذنه ، وأن الخلق مقهورون تحت قبضته ، وأنه ما من قلب الا وهو بين أصابعه ، إن شاء أن يقيمه أقامه ، وإن شاء أن يزيغه ازاعه . فالقلوب بيده وهو مقلبها ويصرفها كيف شاء وكيف أراد ، وأنه هو الذي آتى نفوس المؤمنين ثقواها ، وهو الذي هداها وزكاها ، وألهم نفوس الفجار فجورها وأشقاها « من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له » يهدي من يشاء بفضله ورحمته ، ويضل من يشاء بعدله وحكمته . هذا فضله وعطاؤه وما فضل الكريم بممنون (١) وهذا عدله وقضاؤه (لا يسئل عتما يفعل وهم يسئلون) قال ابن عباس : الأيمان بالقدر نظام التوحيد ، فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيد ، ومن آمن بالقدر صدق إيمانه توحيد . وفي هذا المشهد يتحقق للعبد مقام (إياك نعبد وإياك نستعين) علما وحالا ، فيثبت قدم العبد في توحيد (٢) الربوبية ، ثم يرتقى منه صاعدا الى توحيد الألوهية ، فانه اذا تيقن أن الضر والنفع ، والعطاء والمنع ، والهدى والضلال ، والسعادة والشقاء ، كل ذلك بيد الله لا بيد غيره ، وأنه الذي يقلب القلوب ويصرفها كيف يشاء ، وأنه لا موفق الا من وقفه وأعانه ، ولا مخذول الا من خذله وأهانته وتخلى عنه ، وإن اصح القلوب وأسلمها وأقومها ، وأرقها وأصفها ، وأشدّها وألينها ، من اتخذها وحده إلهًا ومعبودا ، فكان أحب اليه من كل ما سواه ، واخوف عنده من كل ما سواه ، وأرجى له من كل ما سواه ، فتقدم محبته في قلبه جميع المحاب ، فتساق المحاب تبعا لها كما ينساق الجيش تبعا للسلطان ، ويتقدم خوفه في قلبه جميع المخوفات ، فتساق المخاوف كلها تبعا لخوفه ، ويتقدم رجاؤه في قلبه جميع الرجا ، فينساق كل رجا تبعا لرجائه .

{١} وفي نسخة بزيادة « اي مقطوع » وهو تفسير لممنون {٢} وفي نسخة

« توحيد » بدون هاء

(المنار-ج ٢ م ١٧) توحيد الربوبية باب أو طريق لتوحيد الإلهية ١٢٣

فهذا علامة توحيد الألوهية في هذا القلب ، والباب الذي دخل إليه منه توحيد الربوبية ، أي باب توحيد الإلهية توحيد الربوبية (١) فإن أول ما يتعلق القلب (٢) بتوحيد الربوبية ثم يرنفي إلى توحيد الإلهية ، كما يدعو سبحانه عبادته في كتابه بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر ، ويحتج عليهم به ، ويقررهم به ، ثم يخبر أنهم ينقضونه بشركهم به في الإلهية .

وفي هذا المشهد يتحقق له مقام (إياك نعبد) قال الله تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ: الله . فأنى يؤفكون؟) أي فمن أين بصرفون عن شهادة أن لا إله إلا الله ، وعن عبادته وحده ، وهم يشهدون أنه لا رب غيره ولا خالق سواه (٣) وكذلك قوله تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون؟) سيقولون: الله . قل أفلا تذكرون؟ (ف تعلمون أنه إذا كان وحده مالك الأرض ومن فيها ، وخالقهم وربهم ومليكمهم ، فهو وحده الملهم ومعبودهم ، فكما لا رب لهم غيره ، فكذلك لا إله لهم سواه) قل: من رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟ سيقولون: الله . قل: أفلا تيقنون؟ قل: من يملك كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه؟ (الآيات . وهكذا قوله في سورة النمل: قل: الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، الله خير أمّا يشركون؟ أمّا نحن خالق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ، ما كان لكم أن تُنبِتوا شجرها؟ إله مع الله؟ بل هم قوم يمدلون) إلى آخر الآيات . يحتج عليهم بأن من فعل هذا وحده ، فهو الإله وحده ، فإن كان معه رب فعل هذا فينبغي أن تعبدوه ، وإن لم يكن معه رب فعل هذا فكيف تجملون معه إلهاً آخر؟

ولهذا كان الصحيح من القوانين في تقدير الآية «أوله مع الله فعل هذا؟» حتى يتم الدليل ، فلا بد من الجواب بلاه فاذا لم يكن معه إله فعل كفعله فكيف تعبدون إلهة أخرى سواه؟ فعلم أن إلهية ما سواه باطلة ، كما أن ربوبية ما سواه باطلة باقراكم وشهادتكم . ومن قال: المعنى هل مع الله إله آخر؟ من غير أن

(١) وبعبارة أخرى توحيد الربوبية ، باب يدخل منه إلى توحيد الإلهية .

(٢) وفي نسخة «العبد» (٣) وفي نسخة «وانه لا خالق سواه»

يكون المعنى « فعل » فقوله ضيف نوجبين (أحدهما) أنهم كانوا يقولون : مع الله آلهة أخرى، ولا ينكرون ذلك (الثاني) أنه لا يتم الدليل، ولا يحصل إفحامهم وإقامة الحجة عليهم إلا بهذا التقدير، أي فإذا كنتم تقولون : أنه ليس معه إله آخر فعل مثل فعله ، فكيف تجهلون معه إنها آخر لا يخلق شيئاً وهو عاجز ؟ وهذا كقوله (أم جهلوا الله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ؟ قل : الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار) وقوله (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ؟) وقوله (أفمن يخلق كن لا يخلق ؟) وقوله (والذين يصدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون) وقوله (واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون) وهو كثير في القرآن وبه تتم الحجة كما تبين .

والمقصود أن العبد يحصل له هذا المشهد من مطالعة الجنايات والذنوب وجريانها عليه وعلى الخليفة بتقدير العزيز الحكيم، وأنه لا عاصم من غضبه وأسباب مسخطه إلا هو، ولا سبيل إلى طاعته إلا بجموعته، ولا وصول إلى مرضاته إلا بتوفيقه، فوارد الالامور كلها منه ومعهما درهماً إليه، وإزمة التوفيق جميعها بيده، فلا مستعان إلا به، ولا متمكّل إلا عليه (١) كما قال سعيب خطيب الأنبياء (وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)

﴿ فصل ﴾

(المشهد السابع مشهد التوفيق والخذلان)

وهو من تمام هذا المشهد وفروعه، ويمكن أفرد بالذكر لحاجة العبد إلى شهوده وانتفاعه به . وقد أجمع المارفون بالله أن التوفيق هو أن لا يكلك الله إلى نفسك (٢)

(١) أي أن الذي يدرك حقيقة معنى القدر يعلم أن ما آتاه الله تعالى إياه من هدايات الخواص والنفوس والوجدان، وما يصل إليه علمه المكتسب بها والضروري الذي هو أتموى منه، كل ذلك لا يكفي لتصرف إرادته واختياره دائماً فما هو خير له، فانه مهما اتسع علمه واختياره يختار لنفسه أحياناً كثيرة ما هو شر له في دينه ودنياه وعاجل أمره وآجابه، فإذا فقه هذا علم علم شهود أنه لا يستغني طرفة عين عن توفيق الله وغنايته . (٢) هذا تفسير باللازم وأما المألوم فكون الأسباب الكسوبة وغير المكسوبة موافقة للمصلحة الصحيحة

(المنار - ج ١٧ م ٢) شعور الموحد بحاجته الى توفيق الله له ١٢٥

والخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك . فالعبيد متقلبون بين توفيقه وخذلانه ، بل العبد في الساعة الواحدة بنال نصيبه من هذا وهذا فيطيعه ويرضيه ويذكره ويشكره بتوفيقه له ، ثم يعصيه ويخافه ويستخطه ويغفل عنه بخذلانه له ، فهو دائر بين توفيقه وخذلانه ، فان وفقه فبفضله ورحمته ، وإن خذله فبعده وحكمته ، وهو المحمود على هذا وهذا ، له أتم حمد وأكمله ، ولم يمنح العبد شيئا هو له ، وإنما منعه ما هو مجرد فضله وعطائه ، وهو أعلم حيث يضعه وأين يجمله . ففى شهد العبد هذا المشهد وأعطاه حقه ، علم ضرورته وحاجته الى التوفيق كل نفس وكل لحظة وطرفة عين ، وان إيمانه وتوحيده بيده تعالى (١) ، لو تخلى عنه طرفة عين أثلى عرش توحيده ، ولخزت سماء إيمانه على الأرض ، وان المسك له من يمسك السماء ان تقع على الأرض الا بإذنه فهو مجتهد بقلبه (٢) ودأب لسانه « يا قلب انقلب ثبت قاي على دينك ، يا مصرف القلوب صرف قلبي الى طاعتك » ودعواه « يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام ، لا إله الا أنت برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كله ، ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ولا إلى احد من خلقك » ففي هذا المشهد بشهد توفيق الله وخذلانه ، كما يشهد ربوبيته وخلقه ، فيسأله توفيقه مسألة المضطر ويعوذ به من خذلانه عياذ المأهوف ويلقي نفسه بين يديه ، طريقا يبابه مستسلا له ، ناكس الرأس بين يديه خاضعا ذليلا مستكينا ، لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .

وانت توفيق ارادة الله من نفسه ان يفعل بعبد ما يصلح به العبد ، بأن يجمله قادرا على فعل ما يرضيه ، مريدا له ، محبا له ، مؤثرا له على غيره ، ويبغض اليه ما يستخطه ويكرهه اليه . وهذا مجرد فعله ، والعبد محل له ، قال تعالى (ولكن الله جيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ، وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان . أولئك

{ ١ } وفي النسخة الثانية « وتوحيده بمسك بيد غيره بيده تعالى » { ٢ } هيجري الانسان بكسر الهاء وتشديد الحيم المكسورة وانقصر) دأبه الذي يلزمه ولا يتركه . ويسمى الناس في بعض البلاد في هذا العصر « لازمة » فالذي يكثر في كلامه من كلمة « لازمة » يقولون : لازمته مثلا

١٢٦ ضرب مثل للعدل والفضل في الخذلان والتوفيق (المنارج ١٧م٢)

هم الراشدون * فضلا من الله ونعمة ، والله عليم حكيم (فهو سبحانه عليم بمن يصالح لهذا الفضل ومن لا يصالح له ، حكيم بضمه في مواضعه وعند أهله ، لا يمنعه أهله ، ولا يضمنه عند غير أهله . وذكر هذا عقيب قوله (واعلموا أن فيكم رسول الله لو بطيخكم في كثير من الأمر لعنتم) ثم جاء به (١) بهرف الاستدراك فقال (ولكن الله حبيب اليكم الايمان) يقول سبحانه: لم تكن محبتكم للايمان وارادته وتزبيته في قلوبكم منكم ، ولكن الله هو الذي جعله في قلوبكم كذلك فأثرتوه ورضيتوه . فلذلك لا تقدموا بين يدي رسولي ، ولا تقولوا حتى يقول ولا تفعلوا حتى يأمر . قالني حبيب اليكم الايمان أعلم بمصالح عبادهم منكم ، وأنتم فلولا توفيقه لكم (٢) لما أذعنت نفوسكم للايمان ، فلم يكن الايمان بمشورتكم وتوفيق أنفسكم ، ولا تقدمتم به اليها ، فنفسكم تفهم وتميز عن ذلك ولا تبلغه ، فلو أطاعكم رسولي في كثير مما تريدون لشق عليكم ذلك ، ولهلكتم وفسدت مصالحكم وأنتم لا تشعرون ، ولا تظنوا ان نفوسكم تريد بكم الرشاد والمصالح ، كما اردتم الايمان ، فلولا اني حبيبه اليكم وزينته في قلوبكم ، وكرهت اليكم ضده ، لما وقع منكم ولا سمحت به أنفسكم . وقد ضرب للتوفيق والخذلان مثل ملك أرسل الى أهل بلد من بلاد رسولا وكتب مع (٣) كتابا يملأهم أن العدو مصيحبهم عن قريب ، ومحتاجهم ونحرب البلد ومهلك من فيها ، وأرسل اليهم اموالا ومراكب وزادا وعدة وأدلة ، وقال . ارتحلوا الي مع هؤلاء الادلة ، وقد ارسلت اليكم جميع المحتاجون اليه . ثم قال لجماعة من مما يليكه : اذهبوا الى فلان فخذوا بيده واحملوه (٤) ولا تدرؤوه بقعد ، واذهبوا الى فلان كذلك والى فلان ، وذرؤوا من عداهم فأنهم لا يصالحون ان يساكنوني في بلدي . فذهب خواص مما يليكه الى من أمروا بحملهم فلم يتركوهم بقرون ، بل حملوهم حملا وساقوهم سوقا الى الملك ، فاجتاح العدو من بقي في المدينة وقتلهم ، واسر من اسر . فهل يمد الملك ظلما هؤلاء أم عادلا فيهم ؟ نعم خص أولئك باحسانه وعنايته وحرماها من عداهم ، اذ لا يجب عليه التسوية بينهم في فضله واكرامه ، بل ذلك فضله

(١) سقط من النسخة الثمانية لفظ « به » (٢) سقط من النسخة الثمانية لفظ « لكم »

{٣} وفي نسخة « له » (٤) وفي نسخة « فاحملوه »

(المنارج ٢ م ١٧) تفسير القدرية والجبرية للتوفيق والخذلان ١٢٧

يؤتيه من يشاء .

وقد فسرت القدرية الجبرية التوفيق بأنه خلق الطاعة ، والخذلان (بأنه) خلق المعصية . ولكن بنوا ذلك على أصولهم الفاضدة من انكار الأسباب والحكم ، وردوا الأمر إلى محض المشيئة من غير سبب ولا حكمة . وقابلهم القدرية النفاة ، ففسروا التوفيق بالبيان العام ، والهدي العام ، والنمكين من الطاعة والإقبال عليها وتهيئة أسبابها . وهذا حاصل لكل كافر ومشرِك بلفظه الحجة وتمكن من الإيمان . فالتوفيق عندهم أمر مشترك بين الكفار والمؤمنين ، إذ الاقدار والنمكين والدلالة والبيان قد عم به الفريقين (١) ولم يفرّد المؤمنين عندهم بتوفيق وقع به الإيمان منهم ، والكفار بخذلان امتنع به الإيمان منهم ، ولو فعل ذلك لكان عندهم محاباة وظلماً . والتزموا هذا الأصل لوازم قامت بها عليهم سوق الشناعة بين العقلاء ولم يجدوا بدا من التزامها ، فظهر فساد مذهبهم ، وتناقض أقوالهم (٢) ، لمن أحاط به علماً ونصوره حق تصوره ، وعلم أنه من أبطل مذهب (?) في العالم وارداً .

وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . فلم يرضوا بطريق هؤلاء ، ولا طريق هؤلاء ، وشهدوا انحراف الطريقين عن الصراط المستقيم ، فأثبتوا القضاء والقدر وعموم مشيئة الله للكائنات وأثبتوا الأسباب والحكم والغايات والمصالح ، ونزهوا الله عز وجل أن يكون في ملكه ما لا يشاء ، أو أن يقدر خلقه على ما لا يدخل تحت قدرته ولا مشيئته ، أو أن يكون شيء من أفعالهم واقعا بغير اختياره وبدون مشيئته . ومن قال ذلك فلم يعرف ربه ، ولم يثبت له كمال الربوبية . ونزهوه مع ذلك عن العبث وفعل القبيح وأن يخلق شيئاً سدى ، وأن تخلو أفعاله عن حكم بالغة لأجلها أوجدها ، وأسباب بها سببها ، وغايات جعلت طرقاً ووسائل إليها . وإن له في كل ما خلقه وقضاه حكمة بالغة . وتلك الحكمة صفة له قائمة به ليست مخلوقة كما تقول القدرية النفاة للقدر والحكمة في الحقيقة .

فأهل الصراط المستقيم يريثون من الطائفتين ، إلا من حق تضمنه مقالاتهم ،

{ ١ } وفي نسخة « بين الفريقين » (٢) وفي نسخة « قولهم »

فإنهم يوافقونهم عليه ويجمعون حق كل منهما إلى حق الأخرى ، ولا يبطالون ما معهم من الحق لما قالوه من الباطل ، فهم شهداء الله على الطوائف أمناء عليهم ، أحكام بينهم ، كما كون عليهم ، ولا يحكم عليهم أحد منهم ، يكشفون أحوال الطوائف ، ولا يكشفهم إلا من كشف له عن معرفة ما جاء به الرسول (١) وعرف الفرق بينه وبين غيره ولم يلتبس عليه ، وهؤلاء أفراد العالم ونخبته وخلاصته ، ليسوا من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، ولا من الذين تقطعوا أمرهم بينهم زبرا ، بل ممن هو على بينة من ربه وبصيرة في إيمانه ، ومعرفة بما عند الناس ، والله الموفق .

﴿ فصل ﴾

المشهد الثامن مشهد الأسماء والصفات

وهو من أجل المشاهد وهو أعلى مما قبله وأوسع . والمطلع (٢) على هذا المشهد معرفة تعلق الوجود خلقا واما بالأسماء الحسنى والصفات العلى ، وارتباطه بها ، وإن كان العالم بما فيه من بعض آثارها ومقتضياتها . وهذا من أجل المعارف وأشرفها ، وكل اسم من أسمائه سبحانه له صفة خاصة ، فإن أسمائه أوصاف مدح وكمال ، وكل صفة لها مقتضى ، وفعل : إما لازم وإما متعمد ، ولذلك الفعل تعلق بمفعول هو من لوازمه وهذا . في خلقه وأمره وثوابه وعقابه ، كل ذلك آثار الأسماء الحسنى وموجباتها . ومن المحال تعطيل أسمائه عن أوصافها ومعانيها ، وتعطيل الأوصاف عما تقتضيه وتستدعيه من الأفعال ، وتعطيل الأفعال عن المفعولات ، كما أنه يستحيل تعطيل مفعوله عن أفعاله ، وأفعاله عن صفاته ، وصفاته عن أسمائه ، وتعطيل أسمائه وأوصافه عن ذاته .

وإذا كانت أوصافه صفات كمال ، وأفعاله حكما ومصالح ، وأسمائه حسنى ، ففرض تعطيلها عن موجباتها مستحيل في حقه . ولهذا ينكر سبحانه على من عطله عن أمره ونهيه وثوابه وعقابه ، وأنه نسبته إلى ما لا يليق به ، ويتنزه عنه (٣) وإن

{١} وفي نسخة الرسل (٢) المطلع بفتح اللام . وخبره معرفة تعلق الوجود

(٣) وفي نسخة : بل يتنزه عنه

(المنار-ج ٢م ١٧) اقتضاء الاسماء الحسنى لمعلقاتها ومنها التواب الغفار ١٢٩

ذلك حكم سيئ من حكم به عليه ، وإن من نُسبه إلى ذلك فما قدره حق قدره ، ولا عظمه حق تعظيمه ، كما قال تعالى في حق منكري النبوة وإرسال الرسل وأنزال الكتب (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) وقال تعالى في حق منكري المعاد والثواب والعقاب (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسماوات مطويات بيمينه) وقال في حق من جوز عليه التدبيرة بين المختلفين كالأبرار والفجار ، والمؤمنين والكفار (أم حسب الذين اجتروا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) فأخبر أن هذا حكم سيئ لا يليق به ، تأباه أسمائه وصفاته ، وقال سبحانه (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ؟) فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم عن هذا الظن والحسبان، الذي تأباه أسمائه وصفاته .

ونظائر هذا في القرآن كثير، ينفي عن نفسه خلاف موجب أسمائه وصفاته، إذ ذلك (١) مستلزم تعطيلها عن كمالها ومقتضياتها، فاسمه الحميد المجيد يمنع ترك الإنسان سدى مهلا معطلا، لا يؤمر ولا ينهى ولا يثاب ولا يعاقب ، وكذلك اسمه الحكيم ، يأنى ذلك ، وكذلك اسمه الملك ، واسمه الحي يمنع أن يكون معطلا من الفعل بل حقيقة الحياة الفعل، فكل حي فعال، وكونه سبحانه خالقا قيوما من موجبات حياته ومقتضياتها ، واسمه السميع البصير يوجب مسموعا ومرثيا ، واسمه الخالق يقتضي مخلوقا . وكذلك الرزاق : واسمه الملك يقتضي مملكة وتصرفا وتدبرا وإعطاء ومنعاً وإحساناً وعدلاً وثواباً وعقاباً . واسم البر المحسن المعطي المنان ونحوها تقتضي آثارها وموجباتها .

إذا عرف هذا فن أسمائه سبحانه الغفار التواب الغفور (٢) فلا بد لهذه الأسماء من متعلقات ، ولا بد من جنابة تغفر ، وتوبة تقبل ، وجرائم يعفى عنها . ولا بد لاسمه الحكيم من متعلق يظهر فيه حكمه (٣) إذ اقتضاء هذه الأسماء لآثارها (١) ونسخة « ذاك » (٢) وفي نسخة بواو المطف في هذه الأسماء الثلاثة

الآخيرة . وهنا محل الشاهد {٣} وفي نسخة « حكمة »

١٣٠ عبادة الله بجميع أسمائه الحسنى (المنار- ج ٢ م ١٧)

كاقضاء اسم الخالق الرازق المعطي المانع المخلوق والمرزوق والمعطي والمنوع وهذه الأسماء كلها حسنى ، والرب تعالى يحب ذاته وأوصافه وأسماءه . فهو عفو يحب العفو ، ويحب المغفرة ويحب التوبة ، ويفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه أعظم فرح يخطر بالبال . وكان تقدير ما ينقره ويمنوع عن فاعله ويحلم عنه ويتوب عليه ويسامحه من موجب أسمائه وصفاته . وحصول ما يحبه ويرضاه من ذلك ، وما يحمده به نفسه ويحمده به أهل سمواته وأهل أرضه ، ما هو من موجبات كماله ويمتضى حمده . وهو سبحانه الحميد المجيد ، وحمده ومجده يقتضيان آثارهما ومن آثارهما مغفرة الزلات ، وإقالة العثرات ، والعفو عن السيئات ، والمسامحة على الجنايات ، هذا (١) مع كمال القدرة على استيفاء الحق ، والعلم منه سبحانه بالجناية وتمتد عقوبتها ، فحلمه بعد علمه ، وعفوه بعد قدرته ، ومغفرته عن كمال عزته وحكمته ، كما قال المسيح صلى الله عليه وسلم (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) أي فغفرتك عن كمال قدرتك وحكمتك ، لست كن يغفر عجزا ، ويسامح جهلا بقدر الحق ، بل أنت عليم بحقك ، قادر على استيفائه ، حكيم في الأخذ به .

فمن تأمل سر بيان آثار الأسماء والصفات في العالم وفي الأمر تبين له أن مصدر قضاء هذه الجنايات من العبيد ، وتقديرها هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال ، وغاياتها أيضا مقتضى حمده ومجده ، كما هو مقتضى ربوبيته وإلهيته ، فله في كل ما قضاه وقدره الحكمة البالغة ، والآيات الباهرة ، والتعرفات إلى عباده بأسمائه وصفاته ، واستدعاء محبتهم له وذكرهم له وشكرهم له ، وتمبدهم له بأسمائه الحسنى ، إذ كل اسم فله تمتد مختص به علما ومعرفة وحالا ، وامل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطامع غايبا البشر ، فلا يحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر ، كمن يحجبه التعبد باسمه القدير ، عن التعبد باسمه الحكيم الرحيم ، أو يحجبه عبودية اسمه المعطي من عبودية اسمه المانع ، أو عبودية اسمه الرحيم وعفوه والغفور عن اسمه المنتقم ، أو التعبد بأسماء التودد والبر واللاطف والاحسان

(١) سقط لفظ « هذا » من النسخة الثانية

(المناجى - ج ٢ م ١٧) الأسباب مع مسبباتها أربعة ومنها المكروه الموصل إلى المحبوب ١٣١

عن أسماء العدل والجبروت والعظمة والكبرياء ونحو ذلك .
وهذه طريقة الكمل من السائرين إلى الله ، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن .
قال الله تعالى (والله الأسماء الحسنى فادعوه بها) والدعاء بها يتناول دعاء المسئلة
ودعاء الثناء ودعاء التعبد . وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ،
ويثنوا عليه بها ، يأخذوا بحظهم من عبوديتها ، وهو سبحانه يحب موجب أسمائه
وصفاته . فهو عليم يحب كل عليم ، وجواد يحب كل جواد ، وتر يحب الوتر ،
جميل يحب الجمال ، عفو يحب العفو وأهله ، حيي يحب الحياء وأهله ، بر يحب
البر ، شكور يحب الشاكرين ، صبور يحب الصابرين ، حلیم يحب أهل الحلم ،
فلمحبته سبحانه للتوبة والمغفرة والعفو والصفح خلق من يغفر له ويتوب عليه ويعفو
عنه ، وقدر عليه ما يقتضي وقوع المكروه والمبغوض له ، ليعترب عليه المحبوب له
المرضي له ، فتوسطه كتوسط الأسباب المكروهة المفضية إلى المحبوب .

فربما كان مكروه النفوس إلى محبوبها سبباً ما مثله سبب
والأسباب مع مسبباتها أربعة أنواع : محبوب يفضي إلى محبوب ، ومكروه
يفضي إلى محبوب . وهذان النوعان عليهما مدار أقضية وأقداره سبحانه بالنسبة إلى
ما يحببه ويكرهه . والثالث مكروه يفضي إلى مكروه . والرابع محبوب يفضي إلى
مكروه . وهذان النوعان ممتنعان في حق سبحانه ، إذ الغايات المطلوبة من قضائه
وقدره - الذي خلق ما خلق وقضى ما قضى لأجل حصولها - لا تكون إلا محبوبة
للرب مرضية له ، والأسباب الموصلة إليها منقسمة إلى محبوب له ومكروه له .
فالطاعات والتوحيد أسباب محبوبة له موصلة إلى الإحسان والثواب المحبوب له
أيضاً ، والشرك والمعاصي أسباب مسخوطة له ، موصلة إلى العدل المحبوب له ،
وان كان الفضل أحب إليه من العدل . فاجتماع العدل والفضل أحب إليه من انفراد
أحدهما ، لما فيهما من كمال الملك والحمد ، وتنوع الثناء وكمال القدرة .

فإن قيل : كان يمكن حصول هذا المحبوب من غير توسط المكروه . قيل هذا
سؤال باطل لأن وجود المازوم بدون لازمه ممتنع ، والذي يقدر الذهن وجوده شيء
آخر غير هذا المطلوب المحبوب للرب ، وحكم الذهن عليه بأنه محبوب للرب بحكم

١٣٢ مشهد زيادة الايمان في سوء آثار المعصيان وحسن آثار الطاعة (المنارج ١٧م٢)

بلاعلم ، بل قد يكون مبعوضا للرب تعالى لمنافاته حكمته ، فاذا حكم الذهن عليه بأنه محبوب له كان نسبة له الى ما لا يليق به وية خالي عنه . فليعط اللبيب هذا الموضع حقه من التأمل فإنه مزلة أقدام ، ومضلة أفهام ، واو أمسك عن الكلام من لا يعلم لقل الخلاف . وهذا المشهد أجل من ان يحيط به كتاب ، أو يستوعبه خطاب ، وإنما أشرنا منه الى أدنى إشارة نطلع على ما وراءها والله الموفق (١) .

﴿ فصل ﴾

المشهد التاسع مشهد زيادة الايمان وتعدد شواهد

وهذا من ألطف المشاهد وأخصها بأهل المعرفة . وأمل سامعه يبادر الى انكاره ويقول : كيف يشهد زيادة الايمان من الذنوب والمعاصي ؟ ولا سيما ذنوب (٢) العبد ومعاصيه ، وهل ذلك إلا منقص الايمان ؟ فإنه باجماع السلف يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . فاعلم ان هذا حاصل من النفات العارف الى الذنوب والمعاصي منه ومن غيره ، والى ترتب آثارها عليها . وترتب هذه الآثار عليها علم من أعلام النبوة ، وبرهان من براهين صدق الرسل وصحة ما جاءوا به . قالت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أمروا العباد بما فيه صلاح ظواهرهم وبواطنهم في معاشهم ومعادهم ، ونهوههم عما فيه فساد ظواهرهم وبواطنهم في المعاش والمعاد ، وأخبروهم عن الله عز وجل انه يحب كذا وكذا (٣) وانه ينفذ كيت وكيت ، ويساقب عليه بكيت وكيت ، وانه اذا أطيع بما أمر به شكر عليه بالإمداد ، والزيادة والنعم في القلوب والأبدان والأموال ، ووجد العبد زيادته وقوته في حاله كلها ، وانه اذا خواف أمره ونهيته ترتب عليه من النقص والفساد والضعف والذل والمهانة والحقارة وضيق العيش وتكد الحياة ما ترتب ، كما قال تعالى (من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وقال (قل : يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم ، للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة والذين الآخرة خير) وقال تعالى (وأن استغفروا ربكم

(١) وفي نسخة زيادة «المعين» (٢) وفي نسخة «من ذنوب» (٣) وفي نسخة

زيادة «فيثيب عليه»

(المنار-ج ٢ م ١٧) ضيق عيش المذنب الشقي. وطيب عيش المؤمن التقى ١٣٣

ثم توبوا اليه بتمكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ، ويؤت كل ذي فضل فضله (وقال تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، والصحيح أنها في الدنيا وفي البرزخ فإن من أعرض عن ذكره الذي أنزله فله من ضيق الصدر ونكد العيش وكثرة الخوف وشدة الحرص والتعب على الدنيا وانتحسر على فواتها قبل حصولها وبعد حصولها ، والآلام التي في خلال ذلك - ما لا يشعر به القلب اسكرته وانغمسه في السكر. فهو لا يصحو ساعة إلا أحس وشعر بهذا الألم فبادر الى إزالته بسكر ثان، فهو هكذا مدة حياته . وأي عيشة أضيق من هذه لو كان للقلب شعور؟ فقلوب أهل البدع والمعرضين عن القرآن وأهل الغفلة عن الله وأهل المعاصي في جحيم قبل الجحيم الكبرى ، وقلوب الأبرار في نعيم قبل النعيم الأكبر (ان الأبرار في نعيم وان الفجار في جحيم) هذا في دورهم الثلاث ليس مختصا بالدار الآخرة ، وان كان تمامه وكماله وظهوره إنما هو في الدار الآخرة (١) وفي البرزخ دون ذلك، كما قال تعالى (وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك) وقال تعالى (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين؟ * قل: عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون) وفي هذه الدار دون ما في البرزخ ، ولكن يمنع من (٢) الإحساس به الاستغراق في سكرة الشهوات ، وطرح ذلك عن القلب وعدم التفكير فيه . والعبد قد يصيبه ألم حسي فيطرحه عن قلبه ويقطع التفاته عنه، ويجعل أقباله على غيره لئلا يشعر به جملة ، فلوزال عنه ذلك الائتمات لصاح من شدة الألم فما الظن بعذاب القلوب والآلام؟ وقد جعل الله سبحانه للحسنات والعطاءات آثارا محبوبة لذينة طيبة لذتها فوق لذة المنصية باضعاف مضاعفة لانسبة لها اليها، وجعل للسيئات والمعاصي آلاما وآثارا مكروهة، وحرارات تزدني على لذة تناولها باضعاف مضاعفة. قال ابن عباس : ان للحسنة نورا في القلب ، وضياء في الوجه ، وقوة في البدن ، وزيادة في الرزق ، ومحبة في قلوب الخلق . وان للسيئة سوادا في الوجه وظلمة في القلب ، ووهنا في البدن ،

(١) مارأت أحدا سبقني الى تقرير هذا المعنى والاستدال عليه بالقرآن مثل المصنف
(٢) وفي نسخة بسقوط «من»

١٣٤ آثار الحسنات والسيئات في القلوب والأبدان والأموال (المنار ج ١٧م ٢)

ونقصها في الرزق ، و بغضة في قلوب الخلق . وهذا يعرفه صاحب البصيرة ويشهده من نفسه ومن غيره ، فما حصل للعبد حال مكروهة قط إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر . قال الله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) وقال لخيار خلقه وأصحاب نبیه (أو لمّا أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم : أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم) وقال (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) والمراد بالحسنة والسيئة هنا النعم والمصائب التي تصيب العبد من الله . ولهذا قال « ما أصابك » ولم يقل : ما أصبت . فكل نقص وبلاء وشر في الدنيا والآخرة فسببه الذنوب وخلافة أوامر الرب ، فليس في العالم شر قط إلا الذنوب وموجباتها

وآثار الحسنات والسيئات في القلوب والأبدان والأموال أمر مشهود في العالم ، لا ينكره ذو عقل سليم ، بل يعرفه المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، وشهود العبد هذا في نفسه وفي غيره وتأمله ومطالعه مما يقوي إيمانه بما جاءت به الرسل ، وبالآواب والعقاب ، فإن هذا عدل مشهود محسوس في هذا العالم ، ومثوبات وعقوبات عاجلة دالة على ما هو أعظم منها لمن كانت له بصيرة ، كما قال بعض الناس : إذا صدر مني ذنب ولم أبادره ولم أداركه بالتوبة انتظرت أثره السيئ ، فإذا أصابني أوفوقه أودونه كما حسبت ، يكون هجبراي « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله » ويكون ذلك من شواهد الإيمان وأدلتها ، فإن الصادق مني أخبرك أنك إذا فعلت كذا وكذا ترتب عليه من المكروه كذا وكذا ، ففعلت كذا ففعلت شيئاً من ذلك حصل لك ما قال من المكروه ، لم تزد إلا علماً بصدقه وبصيرة فيه ، وليس هذا لكن أحد ، بل أكثر الناس يرين الذنوب على قلبه فلا يشهد شيئاً من ذلك ولا يشمر به البتة . وإنما يكون هذا لقلب فيه نور الإيمان ، واهوية الذنوب والمعاصي تمصف فيه ، فهو يشاهد هذا وهذا ، ويرى حال مصباح إيمانه مع قوة تلك الاهوية والرياح ، فيرى نفسه كراكب البحر عند هيجان الرياح وتقلب السفينة وتكفئها ، ولا سيما إذا انكسرت به وبقي على لوح تلعب به الرياح ، فهكذا المؤمن يشاهد نفسه عند ارتكاب الذنوب ، إذا أريد به الخير ، وإن أريد به غير ذلك فقلبه في واد آخر .

ومتى انفتح هذا الباب للعبد انتفع بمطالعة تاريخ العالم واحوال الامم، وماجريات الخلق، بل انتفع بما جريات اهل زمانه وما يشاهده من احوال الناس، وفهم حينئذ معنى قوله تعالى (أفمن هو قثم على كل نفس بما كسبت) وقوله (شهد الله انه لا اله الا هو وللملائكة وأولو الانبياء قائما بالقسط، لا اله الا هو العزيز الحكيم) فكلما تراه في الوجود من شر وألم وعقوبة وجذب ونقص في نفسك وفي غيرك فهو من قيام الرب تعالى بالقسط، وهو عدل الله وقسطه، وان اجراه على يد ظالم فالقسط له اعدل العادلين، كما قال تعالى لمن افسد في الارض (بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار) الآية. فالذنوب، مثل السموم مفسدة بالذات، فان تداركها من سقي بالادوية المقاومة لها...، والا قهرت القوة الايمانية وكان الهلاك، كما قال بعض السلف: المعاصي تريد الكفر، كما ان الحى يريد الموت فشهود العبد نقص حاله اذا عصى ربه، وتغير اقلوب عليه رجفوها منه، وانسداد الابواب في وجهه، وتوعر المسالك عليه وهوانه على اهل بيته واولاده وزوجته واخوانه (١) وتطلبه ذلك حتي يعلم من اين أتى، ووقوعه على السبب الموجب لذلك مما يقوي ايمانه. فان اقلع وباشر الاسباب التي تفضي به الى ضد هذه الحال، ورأى المر بعد النذل، والغنى بعد الفقر، والسرور بعد الحزن، والامن بعد الخوف، والقوة في قلبه، بعد ضعفه ووهنه - ازداد ايمانا مع ايمانه، فتقوى شواهد الايمان في قلبه، وبراهينه وادلته في حال معصيته وطاعته، فهذا من الذين (يكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون) وصاحب هذا المشهد متى تبصر فيه واعطاه حقه صار من اطباء القلوب العالمين بدائها ودوائها، فنفعه الله في نفسه

(١) هذه الآثار التي تترتب على الذنوب لا يشهد بها كلها الا المؤمن الذي يعيش بين المؤمنين الصادقين. واما الجاحدون والتافقون والناسقون المصرون، فلا تغير قلوب بعضهم على بعض لاجل المعصية، ولا يشعرون بهوانهم على اهل بيوتهم، الا قليلا وفي بعض المعاصي دون بعض. فالذين اعتادوا شرب الخمر في بيوتهم، وغير بيوتهم يمدونها هم واهلهم كمشرب الماء. وللمعاصي آثار أخرى في الاخلاق وفي الصحة لا ينفل عن قبجها وشؤمها الا من هو اجهل من الانعام

١٣٩ مشهد الرحمة في الذنوب ومشهد المعجز والضعف (المنار - ج ٢ م ١٧)

ونعم به من شاء من خلقه ، والله اعلم .

﴿ فصل ﴾

المشهد العاشر مشهد الرحمة

فإن العبد إذا وقع في الذنب خرج من قلبه تلك الغلظة والقسوة ، والكيفية الغضبية التي كانت عنده لمن صدر منه ذنب ، حتى لو قدر عليه لاهلكه ، وربما دعا الله عليه أن يهلكه ويأخذه غضبا منه لله وحرصا على أن لا يمضي ، فلا يجد في قلبه رحمة المذنبين الخاطئين ولا يراهم إلا بعين الاحتقار والازدراء ، ولا يذكرهم إلا بلسان الطعن فيهم والعيب لهم والذم ، فإذا جرت عليه المقادير وخلي بنفسه استغاث بالله وانتجأ إليه ، وتعلمل بين يديه تعلمل السليم ، ودعاه دعاء المضطر ، فتبدلت تلك الغلظة على المذنبين رقة ، وتلك القسوة على الخاطئين رحمة ولينا ، مع قيامه بمحدود الله ، وتبدل دعاؤه عليهم دعاءا لهم ، وجعل لهم وظيفة من عمره - يسأل الله فيه أن يغفر لهم ، فما انعمه له من مشهد ! وما اعظم جدواه عليه ! والله اعلم .

﴿ فصل ﴾

فيورثه ذلك (المشهد الحادي عشر)

وهو مشهد المعجز والضعف ، وأنه اعجز شيء عن حفظ نفسه واضعفه ، وأنه لا قوة له ولا قدرة ولا حول إلا بربه ، فيشهد قلبه كريحته منقاة بارض فلاة تقابلها الرياح يمينا وشمالا ، ويشهد نفسه كراكب سفينة في البحر تهيج بها الريح ، وتلاعب بها الأمواج ، ترفعها نارة وتخفضها نارة أخرى . تجري عليه أحكام القدر وهو كالألة طريقا بين يدي وإليه ملقى بيابه ، واضعا خده على ثرى اعتابه ، لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، ليس له من نفسه إلا الجاهل والظلم وآثارهما ومقتضياتهما ، فاطلاك أدنى إليه من شرائك نمله ، كشاة منقاة بين الذئب والسباع لا يردهم عنها إلا الراعي ، فلو تخلى عنها طرفة عين لنفسموها أعضاءا . هكذا حال العبد ملقى بين الله وبين أعدائه من شياطين الانس والجن ، فإن حماه منهم وكفهم عنه لم يجدوا إليه سبيلا ، إن تخلى عنه ووكله إلى نفسه طرفة عين لم ينقسم

(المنار - ج ٢ م ١٧) تأويلات قولهم من عرف نفسه عرف ربه ١٣٧

عليهم بل هو نصيب من ظفر به منهم .

وفي هذا المشهد يعرف نفسه حقاً ، ويعرف ربه ، وهذا احد التأويلات للكلام المشهور « من عرف نفسه عرف ربه » وليس هذا حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما هو اثر اسرائيلي بغير هذا اللفظ ايضاً « يا انسان اعرف نفسك تعرف ربك » وفيه ثلاث تأويلات (احدها) ان من عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة ، ومن عرفها بالمعجز عرف ربه بالقدرة ، ومن عرفها بالذل عرف ربه بالعز ، ومن عرفها بالجهل عرف ربه بالعلم ، فان الله سبحانه استأثر بالكمال المطلق والحمد والثناء والمجد والفنى ، والعبد فقير ناقص محتاج ، وكلما ازدادت معرفة العبد بنقصه وعيبه وفقره وذله وضعفه ، ازدادت معرفته لربه باوصاف كماله .

(التأويل الثاني) ان من نظر الى نفسه وما فيها من الصفات الممدوحة من القوة والارادة والكلام والمشيئة والحياة عرف ان من اعطاه ذلك خلقه فيه اولى به ، فعطي الكمال أحق بالكمال ، فكيف يكون العبد حياً متكاملاً سمياً بصيراً مريداً عالماً يفعل باختياره ، ومن خلقه وأوجده لا يكون اولى بذلك منه ؟ . فهذا من أعظم المحال ، بل من جعل العبد متكاملاً اولى أن يكون هو متكاملاً ، ومن جعله حياً عالماً سمياً بصيراً واعلاً قادراً ، اولى أن يكون كذلك . فالتأويل الاول من باب الضد . وهذا من باب الاولوية .

(والتأويل الثالث) ان هذا من باب النفي . أي كما انك لا تعرف نفسك التي هي أقرب الاشياء اليك ، فلا تعرف حقيقتها ولا ماهيتها ولا كيفيتها ، فكيف تعرف ربك وكيفيته صفاته ؟ . والمقصود أن في هذا المشهد يعرف العبد أنه عاجز ضعيف ، فيزول عنه دعوات الدعاري والاضافات الى نفسه ، ويعلم انه ليس له من الامر شيء ، وليس بيده شيء ، ان هو الا محض الفقر والمعجز والضعف .

(للبحث بقية)

(المنار - ج ٢) (١٨) (المجلد السابع عشر)

الرد المتين

على مقتريات المبشرين (*)

لقد اطلعنا على المجلة المدعوة « الشرق والقرب » التي يطبعها المبشرون بمصر وقرأنا العدد الاول الذي صدر في ١ كانون الثاني سنة ١٩١٤ والعدد الثاني الذي صدر في ١٥ من الشهر المذكور واذا فيهما على زعم أولئك المبشرين تفنيد لما كتبناه في كتابنا الذي سميناه « العقائد الوثنية في الديانة النصرانية » وجميع ما قالوه ينحصر في خمسة أمور (الاول منها) تطاولهم واستباحتهم لكلام البذاء والتطاول وهذا ليس له عندنا جواب فليفرحوا وليتسموا به

(الامر الثاني) ادعائهم أننا اعتمدنا في كتابنا على اقوال علماء نصارى اوروبيين ملحدين . وهذا نجوابهم عليه بان لهم الخيار بما يصفونهم به . أما نحن فنقول بحقهم انهم علماء مستقلون قالوا الحق الذي وصل اليه علمهم بشأن ديانة المبشرين غير مباليين بمن لا يرضاه منهم (الامر الثالث) عدم تصديقهم باطلاعنا على الكتب التي ذكرناها في أول الكتاب . وهذا ايضا لهم الخيار فيه صدقوا أم لم يصدقوا . ونقول لهم ولمن هم على شاكتهم : ها هي ذى مكتبتنا حاضرة لكل من يروم الاطلاع عليها ، ونزيدهم - وربنا شهيد - انه عندنا عدة كتب غير التي ذكرناها لم تقبل منها كلمة واحدة ، لشدة اعتراضاتها على الديانة النصرانية . وجميعها تأليف علماء مسيحيين اوروبيين . وان احبوا فالتا مستعدون لذكر اسمائها ، واسماء المدن التي طبعت فيها مع اسماء الطابعين (الامر الرابع) قولهم مانصه بالحرف « فاذا استزادنا حضرته من نقد بقية ما في كتابه فربما عدنا اليه في فرصة اخرى . ولكن ليسمح لنا الآن بهذه النصيحة وهي ان لا يحشر نفسه بين العلماء الباحثين ، بل ليدع ذلك لرجال العلم وليبحث له عن شغل يرتزق منه والله يهدي سواء السبيل »

اما من جهة تقديم بقية ما في كتابنا فالتا نشكره لهم سلفا ، فالتا نأت بكلمة واحدة من عندنا ، ولا بكلمة واحدة من كلام علماء المسلمين رضي الله عنهم ، بل جميع ما ذكرناه مأخوذ من كتب علماء الغرب المسيحيين خاصة ، واما امرهم ايانا بان لا نحشر نفسنا بين العلماء الباحثين بل لنضع ذلك لرجال العلم ، وأن نبحث عن

(*) لصاحب الامضاء من متخرجي الكلية الامريكانية ببيروت

(المنار - ج ١٧م٢) تعاليم مدارس المسلمين ومدارس المبشرين ١٣٩

شغل يرتزق منه ! فأجيبهم عنه بأسف عظيم : ان والدي منذ نعومة اظفاري وضعني بمدارس المبشرين، ولم يعلم ان الدارس فيها يخرج محباً للكسل والبطالة واللهو والسباحة والتسول ، واكره شيء عليه السعي وراه شغل يرتزق منه : ويفضل التحول على السعي ، والفاقة على الفنى ، لرسوخ ما علموه اياه في عقله كتعاليمهم لتلاميذهم الصغار « فلا تهتموا للغد لأن الغد بهم بما لنفسه » وكذلك « لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون » وكذلك « انظروا الى طيور السماء انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن ، وأبوك السماوي يقوتها » وكذلك فقال يسوع لتلاميذه : الحق أقول لكم انه يسر ان يدخل غني الى ملكوت السموات ؟ واقول لكم ايضا ان مرور جمل من ثقب إبرة يسر من أن يدخل غني الى ملكوت السموات فاجاب بطرس حينئذ وقال له هانحن تركنا كل شيء وتبعناك ، فاذأ يكون لنا . . . وكل من ترك بيوتاً أو اخوة أو اخوات أو أباً أو أما أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي ياخذ مثمة ضعف ويرث الحياة الابدية » وغير ذلك كثير مما هو على هذا النمط

أما لو وضعني بمدارس المسلمين ، لكانت لكم من الشاكرين ، لان نصيحتكم تكون تذكري لي بما درسته فيها من آيات القرآن المجيد ، والحديث الشريف ، كقوله تعالى { فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله } وكقوله تعالى (هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكافوا من رزقه واليه النشور) وكقوله تعالى (ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهاراً) وقول النبي صلى الله عليه وسلم « كاد الفقر أن يكون كفراً » وقوله صلى الله عليه وسلم « اعمل عمل امرئ يظن انه لن يموت أبداً ، واحذر حذر امرئ يخشى ان يموت غداً » (١) وقوله صلى الله عليه وسلم « ما اكل احد قط خيراً من ان يأكل من عمل يده » (٢) وكذلك أيضاً « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً مع اصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا : ويح هذا لو كان شبابه وجيده في سبيل الله . فقال صلى الله عليه وسلم « لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليس كفراً عن المسئلة ويفنيها عن الناس فهو في سبيل الله ، وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليفنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله » (٣) واحسرتاه ! لبتة وضعني بمدارس تعلم القرآن المجيد ، والحديث الشريف ، أي تعلم الحكمة ، والهمة

(١) المنار : رواه البيهقي عن عبد الله بن عمرو (٢) رواه البخاري عن المقدم

(٣) رواه الطبراني عن كعب بن عجرة

والرحمة، ولا كان وضعي بمدارس تعلم الكسل والحمول والبلادة وحب التسول والفاقة وبفض المجد وكره الفنى

(الأمر الخامس) اعترضهم على بعض علماء المسلمين الكرام وتهرب بهم باسم الأمير صاحب التأليف المشهورة المبينة على آيات القرآن المجيد والحديث الشريف ، ويكفهم رداً على اعتراضهم ونهاملهم ما أبدوه من العداوة والبغضاء للحق وأهله أما اعتراضهم على آيات القرآن المجيد كقولهم مانصه بالحرف «ولا نحن نطلب من إخواننا المسلمين أن يبينوا لنا كيف يصح القول بأن هانان كان وزير فرعون ، وأن صريم المذراء كانت أخت موسى وهرون ، على ما يستفاد من القرآن ، ولا غير ذلك من المشاكل التي يستحيل التوفيق بينها وبين التاريخ »

على رسلكم يا أيها المبشرون الزاعمون انكم لا تقولون الا الحق المبين : فما معنى ذكر مثل هذه المسائل وما مدخلها مع تفنيديكم لكتابنا ؟ اما أن لكم ان تركوا المغالطات والفسطاطات والتوبيخات وتمقتها ؟ اما أن لكم أن تركوا التشديق بما يسود عليكم بالخبيثة والخذلان ؟ والله لو كان قصدكم الاستفهام حقيقة لما كنا تتأثر باعتراضاتكم وتشدقاتكم ، ولكن ان قصدكم بها اغواء عباد الله تعالى وتشكيك عوام المسلمين في دينهم . ومع ذلك نقول لكم يا صرحاء سلوا عما تشاؤون من المشاكل التي تظنون استحالة التوفيق بينها وبين التاريخ الذي كتبته أيدي الصادقين .

ونقول لكم مع اننا نعلم انكم قصدتم بالتجاهل الاغواء وتشكيك عباد الله تعالى : ان المقصود من أخوية صريم المذراء هو أخوية تشبيه لا أخوية ولادة من أب وأم . وهذا التشبيه كثير ومشهور في اللغات الشرقية . ولقد جاء مثله في انجيل متى ففي الفصل الثاني عشر من عدد ٤٦ الى ٥٠ « وفيما يكلم الجموع اذا أمه واخوته قد وقفوا خارجا طالبين ان يكلموه فأجاب وقال للقائل له : من هي امي ومن هم إخواني ؟ ثم مد يده نحو التلاميذ وقال ها امي واخوتي ، لأن من يصنع مشيئة ابي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي » وجاء مثله في انجيل مرقس { راجع الفصل الثالث من عدد ٣٢ الى ٣٤ }

وهكذا أخوة صريم لهرون عليهما السلام أي كاخوة المسيح عليه السلام لمن أشار إليهم بيده . وكما يشبهون الصالح بأحد المشهورين بالتقوى والعفاف في الايام الحالية كذلك يشبهون الشرير المشهور بالحياة في القرون الماضية كقولهم « أخو الحارث بن ظالم » وهكذا

(المنار - ج ٢ م ١٧) إثبات الإنجيل أخوة المسيح وأنه أعرض عن أمه وعنهم ١٤

ولنا على الأعداد التي ذكرناها من الإنجيل سوالات عديدة نود الاستفسار عنها من حضرة المبشرين الذين انتقدوا إطلاق لقب «أخت هارون» على مريم ولكن خوفاً من أن يتوهم أحد المسيحيين الشرقيين بأننا نقصد الخط من المعتقدات النصرانية كما توهمونا قلنا عن الباقارين وحلتائهم أنهم كفار ظالمون لاستباحة دمهم سفك دماء نساء وبنات وأولاد المسلمين ودفنهم جرحى المساكين القهمانية تحت التراب وهم أحياء يقاسون ألم الجراح وألم الموت خنقا ، واحراقهم بالنساء المسلمات ، وغير ذلك من الأعمال الوحشية التي لم يرو التاريخ صدور مثلها حتى ولا من القبائل المتوحشة في افريقية . لذلك نكتفي بهذين السؤالين مؤملين من حضرتهم افادتنا عنهما وهما :

(١) أنهم يقولون عن مريم المذراه عليها السلام انها لم تلد أحداً غير المسيح عليه السلام ، والإنجيل تقول انه كان لها اولاد ، فهل نصدق كلامهم ونضرب بكلام الإنجيل عرض الحائط أم نصدق كلام الإنجيل ونكذب كلامهم .

(٢) يظهر من كلام الإنجيل انها اي أمه لم تكن مؤمنة به ولا صانعة ارادة مرسله ككتلاميذه . ولولا ذلك لما تبرأ منها هي ومن معها من اخوته وأشار نحو الحاضرين بأنهم هم اخوته واخواته وأمه . فلو كانت مؤمنة به لما قبل هذا لان فيه اهانة عظيمة لها ، كما هو المتبادر من عبارة الإنجيل لكل من يقرؤه . ومعلوم اننا نحن لا نؤمن بهذه القصة التي سموها انجيلاً ، بل نؤمن بان أمه كانت مؤمنة تقيّة ، وأنه كان براها كما حكى الله عنه في قوله (ورا بوالدني)

وقد أرسلنا اليهم كتاب تاريخ الفتح شاء هدية كي يتسلوا به الى ان نختصر بعض فصول كتابنا الذي سميناه « مقام عيسى المسيح عليه السلام في النصرانية والاسلام » لتنتشر في المنار الاغر أدام الله شمس صدقه نيرة سماء العدل والمدنية واما اعتراضهم على مسألة تحديد تعدد الزوجات ، وأقوال انصوفي المنتصر وغير ذلك مما ذكره بمجلتهم فسنرد عليه في الفصول الآتية ان شاء الله تعالى

(محمد طاهر التير)

(المنار) نشرنا هذه النبذة وبتلوها الفصل الاول من الكتاب الذي أشار اليه الكاتب ، وقد تصرفنا في العبارة بعض التصرف فان في الاصل شدة في العبارة لاجابة اليها . وسنعلق على الفصل الآتي كلاماً نبين فيه الغرض من نشر أمثال هذه المقالات

مقام

﴿ عيسى (يسوع) المسيح عليه السلام ﴾

« في النصرانية والاسلام »

— الفصل الاول في نسبه —

﴿ تنبيه مهم ﴾

ان اهانة الناس واحتقار أديانهم من أقبح الاعمال واطغما كرها ومقتنا عند المسلمين كافة ، ولا يتأتى عنها الا المداوة والبغضاء ، على مخالفتها للشريعة الفراء ، قال الله تعالى (لا/ كراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وكل من يتدبر الحقائق بعين الصدق والانصاف يرى ان جميع ما كتبه علماء المسلمين {رض} قديما وحديثا بشأن النصرانية لم يكن سوى ردة على المفتربات التي رعى الخالمون بها دين الاسلام المبين ، بغيا وعدوانا حيناً ، ومد حين ، وهذا الافتراء الذي اتخذه المبشرون وغيرهم من قسيسي الفرق النصرانية مهنة لهم في هذه الايام هو الذي اضطرنا الى كتابة هذه الكتب وهي (المقائد الوثنية ، في الديانة النصرانية . ومقام عيسى عليه السلام ، في النصرانية والاسلام) و (آداب الاسلام وتعليم التوراة والانجيل) و (اخلاق عيسى المسيح عليه السلام في الانجيل وفي القرآن المجيد) ولم يطبع منها سوى (كتاب المقائد الوثنية) وان شاء الله تعالى سنطبع البقية باقرب وقت بعد ما ننشر اكثر نصولها باختصار في المنار الاغر .

وقد بينا الحقائق والله الحمد بطريقه رضى حتى أشد الناس عداوة لدين الاسلام المبين ، اذ لا خير يرجى من كتابة ما يفضب الناس ولا سيما في الامور الدينية التي هي أعز شيء عند الانسان ، مهما كان دينه . قال الله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) فالحمد لله على نعم تعليم القرآن المجيد ، الذي لولاه لسكننا مثل أولئك المبشرين ومن بنحو نحوهم ، الذين اتوا تلك الكتب السافلة المشحونة بالباطل والتطاول والافتراء وغير ذلك مما هو من اخلاقهم وخصالهم .

وانا نلفت نظر القارئ الفاضل الى امر ذي بال وهو اقتصارنا على ما جاء

في التوراة والانجيل كي لا يقدر احد منهم على نسبة الكلام اليها كما فعلوا بنسبة كلام العلماء الا ورويين الذين استشهدنا بكلامهم في كتابنا (العقائد الوثنية) اليها ، مع اقا ذكرنا اسماءهم بالعربية والافرنجية ، ولنتظار الآن ما ذا يقول أولئك القوم الذين ألفوا تلك الكتب السافلة ضد دين الاسلام المبين .

(الجد الاول من جدد الزنا)

عقد الفصل ٣٨ من سفر التكوين من اوله الى آخره لبيان زنا القديس (يهوذا) بكنته (ثامار) وحملها منه . وانها وضمت ولدين ذكرين سيماهما (فارص) و (زارح) والمبشرون المؤلفون لتلك الكتب والرسائل يقولون : ان قديسهم ومخلصهم وخالقهم « يسوع المسيح » من سلالة (فارص) المباركة وبما ان هذه القصة الشريفة لها علاقة مهمة مع هذا الرب المختار الولادة من الزنا تأتي عليها باختصار ، ومن بحب الزيادة فليقرأ الفصل المذكور ير فيه ما ملخصه ان يهوذا نزل عند رجل عدلامي اسمه (حيرة) فرأى ابنة رجل كنعاني اسمه (شوع) فأخذها ودخل عليها وولدت له ثلاثة اولاد ذكور اسم الكبير (عير) والثاني (اوثنان) والثالث (شيلة) ولما كبر غير اخذ له زوجة من بنات الكنعانيين اسمها (ثامار) فعمل الشر بعيني الرب فأهلكه فأمر يهوذا ابنه { اوثنان } بأن يأخذ زوجة اخيه ويقم له نسلا فزوجها اوثنان . وبما ان النسل الذي يأتيه منها يعد نسل اخيه لا نسله صار اذا ضاجعها يفسد على الارض { اي يعزل ماءه } لئلا تحمل منه فأمناته رب التوراة وأبقى اباه القديس لانه لما زنى بها لم يفسد على الارض . ولما مات أمرها يهوذا بأن تقعد أرملة بيت ابيها وانه متى كبر ابنه شيلة يعطيها اياه زوج لها وقال في نفسه ربما يعمل كما عمل اخواه فيميتة الرب مثلها . فذهبت الى بيت ابيها ومضت الايام وكبر { شيلة } ولم يعطه لها . وبلغها ان حماها المذكور (القديس يهوذا) ذاهب الى {تمنة} مع صاحبه العدلامي ليقص صوف غنمه فخلعت ثياب ترملها وغطت وجهها وجلست على طريق {تمنة} فلما رآها ظنها هذا القديس زانية وراودها عن نفسها فقالت له : ماذا تعطيني ؟ فقال لها اعطيك جدي معز أبنته لك . فقالت له أعطني رهنا فأعطاها عصا بته وخاتمه وعصاه وزنى بها . ولما وصل الى تمنة ارسل لها الجدي مع صديقه العدلامي ليفتك الرهن . فلم يجدها فرجع واخبر يهوذا . فقال له لتذهب بما معها كي لا يلحقنا عار . فجلت منه ووضمت ولدين ذكرين سيماهما «فارص» و «زارح» ويسوع المسيح من نسل فارص المبارك

١٤٤ احتفاظ يشوع براحت الزانية وزنا وسامون بها (المنار ج ٢ م ١٧)

ولنا على هذه القصة عدة أسئلة وملاحظات مهمة ذكرناها في كتابنا (مقام عيسى المسيح عليه السلام، في النصرانية والإسلام) نذكر منها هنا مسألتين فقط لأن قصتنا الاختصار كي لا نضيع كثيرا من صفحات المنار الأغر لأن عليه أداء خدمات اسلامية مهمة .

(أولاهما) تقول التوراة انه ظننا زانية لأنها كانت مبطية وجهها . وهذا باطل عقلا ويكفي لرده وإظهار بطلانه ما جاء في التوراة والإنجيل (منها) في قول سفر التكوين (٢٤ : ٦٤ و ٦٥) ورفعت رفة عينها فرأت اسحق فزات عن الجمل وقالت للعبد من هذا الرجل الماشي في الحقل للفائنا ؟ فقال العبد هو سيدي . فأخذت البرقع وتغطت) وجاء في الرسالة الاولى الى أهل كورنتوس (١١ : ١٦) « لان المرأة ان لم تنطق فليقص شعرها أو يحلق وان كان عيبا على المرأة ان يقص شعرها أو يحلق فليتنطق) فالحيجاب علم الخدرا الطاهرات ، وسيمة الحيرات الطيبات ، كما ان التبرج والابتذال من علامات الفواجر الزانيات

(ثانيها) تخبرنا التوراة عن ذهاب يهوذا مع صاحبه العدلامي ، وانه كان معه لما راودها عن نفسها ، وانه أرسل الجدي الوديع معه ، وأنه لم يجدها وغير ذلك ، لكنها لم تذكر هل زنى بها هذا العدلامي أيضا أم لا ؟ وبدل العقل والعادة بين الفساق في هذه الامور التي يشتركون فيها وارسل الاجرة أي الجدي اليها معه على انه زنى بها مع يهوذا . واذا صح هذا فن الحال معرفة بمن كان الحمل وربما حملت من كل واحد بولد ، ولا يبعد حينئذ ان يكون زارح ابن يهوذا ، وفارص ابن العدلامي . وكيفما كان فان هذا المجد الاعلى للمسيح قد خلق من ماء الزنا

(الجلد الثاني)

جاء في سفر يشوع بن نون مانصه (٢ : ١) « فأرسل يشوع بن نون رجلين من شطين جاسوسين تحت الحفاء قائلين امضيا انظرا الارض واربحا . فانطلقا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب وبنا عندها » وجاء في هذا السفر ذاته (٦ : ١٧) ولاتكن المدينة بكل ما فيها ميسلة للرب ، ولتكن راحاب الزانية محياي وجميع من معها في بيتها انتهى

وهذه راحاب الزانية زنى بها سامون وهو من سلالة فارص الذي هو الاصل الاول من اصول الزنا المقدس . فحلت روضت (بوعز) الذي من سلالة جاء « حمل الله الوديع » وما قلناه بخصوص عدم معرفة الحمل بمن كان عند ذكرنا الجلد الاول ،

(المآرج ٢ م ١٧) زعم زنا داود . اعتقاد المسلمين طهارة نسب المسيح ١٤٥

هل كان من يهوذا أو من المدلاي ؟ نقوله هنا أيضا . لان كلا الجاسوسين باتا عند هذه الزانية فكيف يعرف من علفت ؟

{الشاهد الثالث} في سفر الملوك الثاني {١١: ٢-٥} نقلنا هذه الاعداد عن التوراة المطبوعة بمطبعة اليسوعيين بمدينة بيروت . واسم هذا السفر في تورااة الابروسطانت {سفر صموئيل الثاني} : « وكان عند المساء ان داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى عن السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة جدا ، فارسل داود وسأل عن المرأة فقيل له هذه بثشاب بنت أليعام امرأة أوريا الحثي ، فارسل داود رسلا وأخذها فدخلت عليه فدخل بها ، وتطهرت من نجاستها ورجعت الى بيتها ، وحملت المرأة فارسلت واخبرت داود وقالت انني حامل » انتهى فوضعت ولدا ومات ثم زنى بها ثانية (على رءمهم) فحبلت ووضعت سليمان وهو الاصل الثالث من الثلاث الزاني وبما اننا قصدنا الاختصار بقدر الامكان لذلك لم نكتب ماجاء في تفاسيرهم على التوراة والانجيل وان كان موجودا في كتابنا ، لان على المآر الاخر خدمات عظيمة فلا نضيع من صفحاته اكثر من هذا القدر

فهذا ما عندهم وهذا ما يدعون الناس الى الايمان والاهتداء به ، واما ما عندنا وندعو اليه أهل الفضل والمقل بعد تركة انبياء الله من الفسق والفجور فهو :

اعتقاد المسلمين

طهارة نسب عيسى المسيح عليه السلام

قال الله تعالى في سورة آل عمران ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم * اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم * فلما وضعها قالت وبإني وضيعتها اشيء ، والله اعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى ، وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم * فتقبلها ربها بقبول حسن وأتيتها نبأا حسنا وكفلها زكريا)

وقال الله تعالى في سورة العنكبوت بعد ذكر ابراهيم عليه وعلى آله الصلاة والسلام

(المجلد السابع عشر)

(١٩)

(المآرج ٢)

{ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب، وآتيناه أجره في الدنيا وأنه الآخرة لمن الصالحين}

الله أكبر ! فليُنظر المبشرون والاب لويس شيخو - الذي ألف رسالة منذ بضع سنين وسماها (خرافات القرآن) وقد ترجمها المبشر المدعو « زويمر » { } ونشرها في مجته « العالم الاسلامي » - الى اعتقاد المسلمين بطهارة نسب عيسى المسيح عليه السلام . فانهم اذا نظروه من جهة القرآن المجيد يرونه من سلالة طيبة زكية سخاها الحلي القيوم من التلطيخ بأقذار وادوان الزنا والسفاح . فليُنظروا أي الوصفين أحب اليهم بحق هذه الذات الشريفة ولينسكوا به . وإيم الله اتنا ما كنا نحب كتابة ما ذكرناه على هذا الموضوع غير أن ضرورة الحال تمنعنا

اعتقاد المبشرين

أن المسيح إلههم صار لعنة

والبيان والله تعالى

قال مقدسهم بولس في رسالته الى أهل غلاطية الاصحاح الثالث العدد (١٣:٣)
«المسيح اقتدانا من لعنة الناموس اذ صار لعنة لاجلنا لانه مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة»

يُعلم الناس ان النصارى يعتقدون أن المسيح هو إلههم وربهم وخالقهم ومخلصهم، وكتابهم المقدس يلقبهم أنه « صار لعنة » واللعنة غاية المبالغة في الشتم والازدراء وليس بعدها زيادة لمستزبد ، واي شيء يمكن ان يؤتى به ويكون اشد قبيحا من قول مقدسهم إنه « صار لعنة » اي انه نفس اللعنة ؟ فما هذا الحب الذي قادهم الى القول بألوهيته من جهة ثم قادهم الى القول بأنه « صار لعنة » من جهة أخرى ؟ ! . دع اعتقادهم بأنه من سلالة زناء مثلث كما بيناه سابقا ، فهم والحالة هذه أسوأ حالا من اشد أعدائهم ، لأن مقام العداوة لا يطلب الا قبيح الاوصاف ، ومقام المحبة لا يطلب الا احسنها واكملها ، فهم يدعون محبة عليه السلام ويعتقدون انه خالفهم ورازقهم وقاديرهم ومخلصهم ، ثم يصفونه بهذا الوصف . . . فما بالهم لا يتدبرون ما يعتقدون ! .

(١) هو زويمر الذي حرأ دعاة النصرانية في مصر وبلاد العرب على الفلاس في العلم في الاسلام واهانة المسلمين وتهميج العداوة بينهم وبين النصارى

(المنار ج ٢ م ١٧) غلو دعاة النصرانية في الطمن بالاسلام ١٤٧

وبما انه إله على حسب اعتقادهم - والمياذ بالله تعالى - فمن ذا الذي صيره لعنة ؟ هذا ما نود ايضاحه منهم ! وأغرب من ذلك اعتقادهم أن الإله ذو ثلاثة أقانيم (اي اشخاص) وهي الآب والابن والروح القدس، وأن هذه الاقانيم الثلاثة هي إله واحد . فكيف صار الابن الذي هو ثلث إلههم « لعنة » دون الثلثين الآخرين، اي الآب والروح القدس ؟ وما داموا يقولون بأن الثلاثة واحد حقيقة فلا بد من دخولهم جميعا تحت اللعن بهذا الاتحاد !! فتدبر هذا وسلمهم : من اللاعن ؟ ومن هو يا ترى ؟

(ستأتي البقية)
عبد الوهاب وولده محمد طاهر

(المنار) قد غلا دعاة النصرانية في العام الماضي وفي هذا العام في الطمن بالاسلام قولاً وكتابة ، فلم يكتفوا بصحفهم الدورية ، ولا بالكتب التي نشروها من قبل ، بل هم يلفقون رسائل جديدة بمعنى ما تقدمها في الطمن والقدح والتمويه ولكن تختلف اسمائها واساليبها . وأكثروا المحافل والمجتمعات في القاهرة وسائر البلاد والقرى لأجل الدعوة الى النصرانية . ومن العجائب أنهم كانوا من قبل أصحاب صبر واثابة فخانهم الصبر في هذه السنة حتى صاروا يهينون من يرد عليهم في المجتمعات إهانته شديدة . وقد خدعوا افراداً من فقراء العامة بالمال وادراو الرزق بأظهروا التنصر ، ثم بدا لهم وندموا ، فصار من يريد الرجوع الى حظيرة الاسلام يهدد بالإيذاء ، حتى اخبرنا بعضهم انه لا يمكنه الا ان يفر من القاهرة الى بلد آخر يظهر اسلامه فيه لأجل هذا العدوان وجب علينا ان لا نقف عند حد رد مطاعهم التي يكررونها كما كنا نفعل من قبل ، وان نبين لآخواتنا المسلمين حقيقة دينهم والمقابلة بينها وبين ديننا ، ويان أئمتنا نحن نعظم المسيح ونكرمه بالحق ، فلا نحتاج الى من يدعونا الى الايمان به إيماناً يجمع النقااض ككونه واحداً وثلاثة ، ومقدساً ولعنة ، برأه الله مما قالوا . وهذا مما يجب علينا شرعاً كالصلاة وغيرها من الفرائض . ولهذا نشرنا هذه الرسالة بعد تصحيحها . نعم أنهم هددونا بالسلطة الانكليزية ، واغروا المعتد الانكليزي بنا عسى ان يأمر الحكومة المصرية بأفعال المنار ومقاومة (مدرسة دار الدعوة والارشاد) ومنع نظارة الاوقاف أن تساعدنا بشيء من أوقاف المسلمين بعد أن صارت الاوقاف تحت سيطرته ، ليتسنى لهم ان يقولوا : ان جميع المسلمين في مصر عجزوا عن الرد عليهم ، وليكتفوا مؤنة من يرد عليهم في المستقبل اذا نجحت مدرسة دار الدعوة والارشاد (فاعتبروا يا أولى الابصار)

مطامع الدول فينا^(*)

« وضمت الحرب أوزارها، واتخذت المدافع أنفاسها، واعيدت السيوف الى اغمادها، وعادت الدول المتناحزة بالامس عن مبادئ القتال الى ردهات المجلس فهددت بعضها مع بعض معاهدات تضمن صيانة السلام الى حين . ثم خفت كل واحدة الى نفسها تناقشها الحساب، وتبحث في مآلاتها من الغنم . فكانت المهمة الاولى منصرفة الى اقتسام الاراضي المكتسبة . ثم الى النظر في مآثرته النفقات الحربية في ميزانياتها، وما يقتضيه سد تلك الثغور من الاموال الطائلة ، وهي لا سبيل اليها الا بمقد القروض

« ولو انحصر الامر في الدول الخارجة من ميدان القتال لكان الخطب، ولكن امت دولاً أخرى أبت الا أن يكون لها من الغنيمة نصيب

« تنازلت تركيا لاطاليا عن ولاياتها الافريقية . ثم تخلت الحكومات البلقان عن ولاياتها الاوربية غير ولاية أدرنه . ثم تقاسمت الدول ما بقي بشكل مناطق تقود كل واحدة بحسب ما توحيه اليها مطامعها في المملانية والجهر

« ورضيت انكلترا نصيباً لها سواحل خليج العجم من الاوقيانس الهندي الى البحر الاحمر . فأصبحت سلطتها مبهوطة على البلاد العربية من البصرة الى السويس ومن الخليج العجمي الى ترعة السويس . وأصبحت في يدها الطريقان البحريتان الموصولتان من املاكا الشرقية الى املاكا الغربية . واتصلت امبراطوريتها الاسيوية (الهند) بملكها الافريقي (مصر)

« أما ايطاليا ولية امم طرابلس الغرب والواضحة يدها على جزيرة رودس وما جاورها من جزر البحر المتوسط فانها فازت بهذه البقعة الآهلة باليونانيين والاروام، والقاعة بين خط بغداد والارخبيل، ومعها ميناء اضايا وخط حديدي يمتد الى الداخلية، ويتصل بالخطوط المملانية ، - خط بغداد وخط أزمير

« وأما ألمانيا فكان نصيبها هذا الخط البغدادي الكبير بجماعته لا مسيطر عليها فيه ولا مهيمن ، وهو الذي طمحت اليه ، ومن ورائه ما بين النهرين وكل البلاد الواقعة بين اسكودار والبصرة من البوسفور الى الخليج العجمي

« وان اتفاق بوتسدام مهد للامانيين السبيل الى بلاد ايران اذ خولهم حق عميد

(*) بقلم الموسيوقلورنث وزير خارجية فرنسا سابقاً وترجمة جريدة الاهرام

(المار-ج ٢ م ١٧) المالك الباقي للدولة بعد تقسيم ممالكها ١٤٩

خط حديدي من بغداد الى طهران . وفي مقابل ذلك جعلت حصة روسيا ارمينيا الكبرى . وهي تتناول الأراضي الواقعة الى شمال الخط البغدادي وإلى جنوبه بجملتها بين انقرة وبغداد .

« على أن تمت عقبة كان لا مندوحة عن تذليلها . فإن الاستئثار بتلك البقاع الواسعة كان لا بد من تمويه بحجة من الحجج ووسيلة من الوسائل فكانت هذه الوسيلة الاشغال العمومية والمشروعات النافعة الواجب احراؤها . بيد أن روسيا لم يخطر لها أن تبذل أموالها الخاصة في هذا السبيل بل لجأت الى فرنسا . افليست هي على الدوام مستعدة لبذل أموالها استعداد تركيا للتخلي عن أراضيها ؟ وعلى هذه الصورة تم الاتفاق على أن فرنسا تتولى انشاء مينائي يني بولي وهر كاه (على البحر الاسود) والخطوط الحديدية (سمسون-سيواس - ديار بكر ، وديار بكر - ارضروم - طرابزون) مع العلم بقله إرادتها المتوقعة ، لأنها لازمة لروسيا أيدياً لموقفها السياسي والاقتصادي والحربي أيضاً ، وإن كان لافائدة لنا نحن متدعي الاطلاق . وأما اعطينا في مقابل ذلك البقعة السورية في جنوبي غربي خط بغداد ، مع حق انشاء مينائي حيفا ويافا وتمديد خط رفاق الحديدي الى القدس ، ثم الاتفاق على اقسام النقل بين خط دمشق - حماه والخط الحجازي ، وكلاهما متصل بالسواحل السورية : الاول في بيروت والثاني في حيفا . وكلاهما امتيازات لانعم لنا منها ما دامت حكومتنا متفاوضة عن معاهدنا السكاوليكية في الشرق ، ضاربة بما لنا من الحق في حماية الأراضي المقدسة وحماية المارونيين عرض الحائط ، ومهدت للايطاليين قطع السبيل علينا بما ينشئونهم لانفسهم في رودس واذاليا وطبرق ومراقوسة

« لا يتوهم من متوهم ان الدولة العثمانية بذلت كل ما تملك الآخذين على أنفسهم صيانة كيائها . كلا ! فهي لا تزال باقية لها الأراضي الواقعة على ضفتي المضائق . وما زالت في عهدتها حماية البوسفور والدردنيل (١١) وأنه لشرف عظيم (١٢) ونخر باق وإن كان ياقى على كاهل صاحبه مسؤوليات عظيمة . ثم انهم لا يزالون ماسكين اذرته والاستانة وروسه وأزمير واسقاعاً مترامية الاطراف خصبة التربة تكفي إراداتها - في مائة ولون - لدفع فوائد ديونها المتراكمة (١٣)

« بهذا الثمن نجحت الدولة العثمانية من الطور الثاني . واعني به طور التقسيم أو طور التجزئة . بقي الطور الثالث واعني الحاجة الى المال . ومعلوم اننا نحن معاشر الفرنسيس لا نبرح أبداً من بال أحد . فبلغت المسائل هذا الطور واعني طور الدفع . اذن الى

فرنسا أنجحت الابصار للمطالبة بسد الفراغ الذي سيئته هفوات وجنود بل جنایات الآخرین حتى یتبأ لأرباب الجشع والطمع ممن ذكر أن یتدبعوا تحقیق مطالبهم .
أما ما بابلوتا به هذه المرة فثمانی مئة ملیون فرنك

« ولقد غامرت الامة الفرنسية الى هذا الحین بمبالغ طائلة من توفیرات ابنائها في المشروعات العثمانية فلا ينكر عليها حق السعي في استرداد ذلك المال . ولكن هذا لا يجب ان یخذ ذریمة لتضحية مصالح البلاد في سبیل منافع بعض المالیين ، فبعد نكبات الجيوش العثمانية انتفت الصحافة وأجمع الرأي العام في فرنسا والعالم كله على إلغاء تبعة انكسارات على عاتق جمعية الاتحاد والترقي . فان الاتحادیین هم المسؤولون عن سوء انتظام الجيش وسوء الادارة وضیاع أموال الحكومة . وان هؤلاء الاتحادیین هم أنفسهم المتقلدون الاحكام اليوم وفي أيديهم التصرف بالاموال العمومية . وهم أنفسهم الذين يتطالبون اليوم الاموال الفرنسية في حين ان لاستعمالها في فرنسا وجهة أولى وأنفع ، ولكن ما ثم من یمترف ، فان قلم المراقبة في وزارة الداخلية كان قد ألغی وأعاده المتولون على شكل أضامن لمصلحتهم

« ومن أهم ما یتهمون به جمعية الاتحاد والترقي نزاعها الالمانية وهي تكاد تكون تحرشاً بنا . ثم یتهمونها بأنها ألقت بين يدي الضباط الالمانین تنظيم جمديتها حتى ألقى بعضهم على الجنرال فندرغولنز تبعة انكسارات للعثمانيين في قرق كایسه ولوله برعاس . فلما استعاد الاتحاديون السلطة كان أول عمل قاموا به انتداب تبعة ألمانية

جديدة لتنظيم الجيش العثماني . ورضي العاهل الالمانی بإيفاد ثلاثة وأربعین رجلاً من ضباط جيشه الى الاستانة ، ولكنه اشترط أن تكون لهم مع تحمل المسؤولية السلطة الفعلية ، وان تكون القيادة العليا لرعي التبعة ، وان يكون الضباط العثمانيون في الجيش خاضعين للضباط الالمانین . ولما كان الخط البغدادي الذي يجتاز آسيا الصغرى من أدناها الى أقصاها - من خليج المعجم الى البوسفور - وكل الخطوط الحديدية الاخرى فروعه له ، هو الوسيلة الوحيدة لتبعية الجيش وشمسه ، فان الجيش العثماني بقيادة الضباط الالمانین سيكون بمنزلة احدى فرق الجيش الالمانی ، فثمانی مئة ملیون فرنك التي تطالبنا الحكومة العثمانية بها اليوم ستنفق في تسليح ونجدين وتنظيم وتدريب جيش يكون في طليعة الجيوش المهاجمة لنا في أول حرب نخوض غمراتها . وتكون أموالنا نحن الفرنسيين قد تحولت الى حديد ورصاص یحترق صدور ابنائنا .

« ولقد بلغ من حرج الموقف ان الحكومة الروسية مع عدم رغبتها في انتهاج

خطة المجافاة والمشاكسة لم يسعها الا اقامة الحجبة في عاصمة السلطنة . وليست وزارتنا الحربية والخارجية في فرنسا بعميدتين عن وزارة المالية فجدبر بوزيريهما ان يجتمعا بزمايهما ويكاشفاه بان في الحياة موائق لا يجوز فيها تضحية الوطنية في سبيل مصالح بعض الافراد ، وان بعض القروض يجب مجانية قبولها في بورصة باريز

« أما أنا فاني لا ابذل قلبي واحدا من مالي للذين يسامون في تربة الوطن وفي موارده الطبيعية نزلنا لبعض الظلماء ، ولا اعتبر من يجود باموال الامة على هذه الصورة مؤثماً أميناً

» رب قائل يقول ليس في الأمر شيء مما تخشاه ، وكل ما هناك تقاهم بتبيين مناطق نفوذ كل دولة . نعم . ولكن لتحدث غداً فنتة أو ثورة أو مذبحية - وليس ذلك بالامر النادر حدوثه في آسيا الصغرى - اذن لانتبث أن نرى العمارة الإيطالية في ايطاليا ، والانكابتز في الكويت ، والالمان في مرسين ، والفرنسيون في بيروت ، والروسيين في طرابزون . وفي مثلت اقدامهم الارض فهيات ان تترشح عنها . وان لدينا في موقف ايطاليا اليوم في جزر بحر ايجه خير شاهد ، فالامر اذن ليس بمنحصر في تبين مناطق النفوذ ، بل هو يتجاوز الى تقسيم الاملاك العثمانية الاسيوية والسلام . (الاهرام)

ثم علقت الاهرام عليه بما يلي :

هذا هو كلام ذلك الوزير وهو لا يقول لنا شيئاً لانعرفه ولكنه يقول لنا وزدده على أنفسنا لتعظ وتتخذ الحيلة ونعمل بقول الشاعر:

ما حلك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك

(المنار) صدقت الاهرام إن هذا السياسي الكبير لا يقول لنا شيئاً لانعرفه ، أي لا يعرفه أهل البصرة منا ، ولكنهم - واحسرتاه ! - قليلون فينا والجمهور مغرور بما يرى حيناً بعد حين من إغماض الذيل قبل الخيود ، كلا أومض إغماضة حسبوا أنهم في عالم الحياة التورنية داخلون ، واذا أظلم عليهم عادوا في ظلمتهم يعمهون ، واذا صاح بهم المنذرون ، : يا قومنا فروا الى النجاة فانكم الى الذبح تساقون . وسوس لهم الموسوسون ، : ان هؤلاء قوم غاشور ، وعن حظيرة الاخلاص الاتحاد خارجون ، وبالسنة أعدائنا الافرنج يتطفون ، اما ترون وميض انوار التجديد ، يلوح لأعينكم من بعيد ، فابذلوا هؤلاء المجددين كل ما تملكون من امال ، قالون جميع الآمال !!

بيننا في المجلد الماضي وفيما قبله ما وصلنا اليه من الخطر القريب ، وبيننا ان الأوربيين لا يقبلون ان يأخذوا بلادنا الا بانفسج الساي المبر عنه بمناطق الاقصاد والنقوذ ، وبيننا طريقة النجاة ولكن لمن لا يسمع ولا يبصر ، وهما نحن أولاء نرى غير الرسميين من ساسة الافرنج يهرحون بذهاب ملكنا تصرحنا والرسميين منهم يهرحون بالعزل ويهرضون بانقول تمرضا وحسبنا ان نصحنا وأدينا الأمانة . وان عرضنا نفسنا للأذى والاهانة .

تقرير المطبوعات الجديدة

﴿ تاريخ حرب البلقان الأولى ﴾

« بين الدولة العلية والاتحاد البلقاني »

عني يوسف افندي البستاني أحد محرري الجريدة اليوم ، بتتبع حوادث هذه الحرب من أول المهد بشوب نازها ، الى ان خمدت ووضعت أوزارها ، وقرأ ما كتبه أشهر كتاب الافرنج في الجرائد الأوروبية ، وما ألفوه من الكتب في ذلك . وما كانت نشره الجرائد العربية لمراسليها في الآستانة وغيرها . فتخذ ذات مادة لوضع تاريخ لهذه الحرب كتبه بمقاد الرعية والاعتدال ، خفاء تاريخا مفيدا جامعا لما فيه العبرة النافعة ، والموعظة الداعية ، بعيدا عن لغو العول وهراء . وباعت صفحاته ٣٢٧ ماعدا صفحات المقدمة والصور والرسوم . (وفيه ٠ دوسا وخريطتان) وقد كتب في الحرب مدة مصنفات عربية . فند شيئا مذكورا مع هذا الكتاب فبلغني ان يكون مهول قراءة العربية عليه دونها . وهو يطلب من مكتبة المار تبصر ونحن النسخة منه خمسة عشر قرشا خلا أحرة البريد

﴿ بيكي مجموعة سي ﴾

مجلة علمية شهرية تركية تصدر في الآستانة العلية صفحاتها ١٠٠ قيمة اشترائها في الممالك العثمانية عن سنة واحدة نصف ليرة عثمانية وفي روسيا خمس روبل ونصف و١٥٠ فرنكا في سائر انشائك وهي مطبوعة طبعا جيدا على ورق نظيف ومن العدد

﴿ كتب تقارير هذا الجزء شقيقنا السيد ساج عباس رضا

الواحد خمسة قروش عثمانية

(مجلة الناشئة) مجلة شهرية تبحث في الناشئة وشؤونها بمرورها طلاب المدرسة العلمية الوطنية في دمشق ، قيمة الاشتراك السنوي ١٥ قرشا ولللاميذ المدرسة ١٠ قروش . ويضاف الى ذلك اجرة البريد للخارج ٠ وصفحاتها ٣٢ بالقطع الصغير . فنحث على مطالعتها تنشيطا لمرورها واطلاعا على سير العلم في نابتة الامة

(لسان العرب) مجلة تاريخية اجتماعية ادبية مصورة لمنشئها أحمد عزت الاعظمي صفحاتها ٥٦ مطبوعة على ورق جيد ، قيمة اشتراكها السنوي ثلاثة ريالات مجدية في المالك الاجنبية وللطلبة بنصف القيمة وعنوانها « الاسنانة . شارع ابو السعود . صندوق البريد عدد ١٤٩٠ . وهذه المجلة مسكنة في نفسي وارجو أن اوفق الى قراءة مالدي من اعدادها فاعود الى تقريرها بالتفصيل الذي يليق بها

(مجلة كمال) مجلة ادبية فكاهية شهرية (سقتها عشرة أشهر) مطبوعة على ورق نظيف طبعا نظيفا صفحاتها ٩٦ بقطع المنار . يصدرها في بيروت كمال افندي عباس . قيمة اشتراكها في البلاد العثمانية وبلدان مجديان وفي مصر والبلاد الاجنبية عشرة فرنكات

(المرأة) جريدة اسبوعية مصورة سنيتها خمسون عددا ، صفحاتها ٢٨ وهي في شكل مجلة من المجلات ذات الصفحات الكبيرة يصدرها في بيروت خليل افندي زينية المعروف لدي كتاب وقراء العربية ، قيمة اشتراكها السنوي في بيروت ٨٠ قرشا سوريا وفي لبنان وسائر الولايات العثمانية ٢٠ فرنكا وفي الخارج ٢٥ فرنكا

باب الاخبار والآراء

﴿ لا بابوية في الاسلام ﴾ ولا تباع شفاعة خير الانام ﴿

ذكرنا في الجزء الماضي ان بعض المتنافقين زين الاتحاديين ان يستقلوا حجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم بوضع دفاتر فيها يكتب فيها اسماء الناس الذين يبذلون لهم الذهب الاحمر لتكتب اسماءهم في تلك الدفاتر ، وينا قباحة هذه البدعة المشتملة على عدة جرائم منكورة ، وينا ان ساف الامة الصالح ما كانوا يتسامحون في إحداث بدعة من العادات المباحة في مسجد الرسول (ص) لئلا يدخل محدث ذلك والراضي به في عموم قوله (س) « من أحدث في مسجدنا هذا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » وهو الحديث الذي اجتج به الامام مالك على ابن مهدي العالم الزاهد لما

(المنار ج ٢) (٢٠) (المجلد السابع عشر)

صلى على نوبه . وبنينا على ذلك اتقا لا نلقن ان جمعية الاتحاد والعرقى قبل هذا الاقتراح ، ولا ان الحكومة تفذه

ثم بلغنا بعد ذلك ان موضوع المشروع ان تسمى تلك الدفائر دفاقر المستشفين . أي ان كتابة الاسماء في تلك الدفائر طريق أو سبب لشفاعة النبي (ص) فهي اذا عبارة عن بيع شفاعة المصطفى (ص) لمن يريد ان يشتري ، وان أقل ثمن لها ليرفعها ليدفعها الشفاعة لأهلك فتباع ، ومن يدعي ان كتابة اسم أحد ووضع في الحجرة النورية يكون سببا لشفاعة الرسول (ص) له فهو مفتر على الله ورسوله ، لأن هذا أمر لا يعلم الا بوحى من الله ، ولو أنزل الله تعالى فيه شيئا يدل عليه بالنص أو الفحوى لكان أجدر الناس بمعرفة العمل به الصحابة (رض) ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .

لهذا نصح للذين لا يعرفون أصول الدين وفروعه من رجال الدولة الاتحاديين أن يجنبوا هذه البدعة ، فليست هذه المسألة كغيرها من الأمور التي تجرموا عليها . ولتذكروا ان مسألة بيع البابوات للفران هي التي احدثت الانقلاب الديني العظيم الذي آل الى سلب السلطة السياسية من البابوات ، بعد حروب شابت من هولها الولدان . على ان بيع الفران له وجه ما في دين النصارى اذ يحتاجون عليه بقول اناجيلهم ان ما يحملونه او يعقدونه في الارض يكون كذلك في السماء . وبيع الشفاعة بدعة في الاسلام ليس لها وجه ولا شبهة . بل تدل الحجة الكثيرة على بطلانها وفقرتها بالشرك بالله تعالى لانه قول على الله بغير علم ، وشرع لم يأذن به الله ، وزيادة في الدين الذي اكمله ، وداخل في عموم الاحداث والبدع التي تنهى وحذر الشارع منها ولعن محدثيها . والآيات والاحاديث في هذا كثيرة . تدعمها الآيات الناطقة بأن يوم القيامة لا يملك فيه احد لاحد شيئا لشفاعة ولا غيرها «والأمر يومئذ لله وحده فلا يشفع احد عنده الا باذنه ولا يأذن الا لمن رضي له قولا (ولا يشفعون الا من ارتضى وهم من خشيته مشفقون) واجمع المسلمون على انه ليس لاحد ان يبيع مستقبل احد في الآخرة الا بنص من الشارع . فليس لاحد من رجال الحكومة العثمانية ولا غيرهم أن يدعي ان النبي (ص) يشفع له او لاحد معين ، فمن لا يملك الشفاعة لنفسه ، كيف يبيعها لغيره ؟ فان كانوا في شك من بصحة لدينا ولهم في هذه المسألة فليمرضوها على علماء الفاض وعلماء السليمانية في خاصتهم ويطالبوا منهم لإبداء رأيهم فيها بالحرية التامة . وربما نمود الى بيان ذلك بالفصيل ، ودلائل السنة والتزيل ، « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل »

﴿ جمعية خدام الكعبة في الهند ﴾

جاءنا من هذه الجمعية رسالة وجيزة ملخصها ان الدولة العثمانية أصبحت على خطر مما يبيت لها الاعداء ، وان أكبر أمانى المسلمين ان تكون غنية قوية ، وان مؤسسي الجمعية احسوا بما سيصيب الحرمين الشريفين من المصائب الحاضرة فأسسوا هذه الجمعية لا يقصدون منها « الا مساعدة الدولة العثمانية في المحافظة على الحرمين الشريفين وبذل المال والنفس في سبيل حمايتهما من الفوائل » ومن ذلك تعلم العرب الذين يقطعون السبل على الحجاج كل هذا حسن . ولكن جاء بعده ان الجمعية تريد إنشاء جريدة باللغتين العربية والأوردية . قال الكاتب « حتى تنشر افكارنا في جميع البلاد الاسلامية وننبه المسلمين الى ما يجب عليهم نحو دينهم ودولتهم الوحيدة » الخ وهذا هو الامر الذي لم تفهمه : جمعية خدام الكعبة انشئت لخدمة الحرمين الشريفين فكيف يجوز لها صرف المال الذي تجمعونه للحرمين الشريفين في انشاء جريدة سياسية . وما هي هذه الافكار التي يريد رئيس تحرير الجريدة ان يبثها في العالم الاسلامي ؟ هل هي افكاره ام افكار الذين تبرعوا بالمال لخدمة الحرمين الشريفين ؟ ومن اين وقف على افكارهم ؟ وهل دفعوا المال لاجل نشر الافكار السياسية أم لاجل خدمة الحرمين ؟

قد بينا رأينا من قبل في هذه الجمعية وفيما يجب ان تكون عليه فلا نعيد . ونقول الآن انه لا يجوز لها بحسب قانونها الذي نشرناه وبحسب ما اقترعناه من تعديله ان تنفق شيئاً من مالها على انشاء الجرائد ، فهذه الفكرة الجديدة قد ازلت ثقتنا بالجمعية الا ان يرجعوا عنها .

أما مساعدة الدولة العثمانية بالمال والنفس فهو عمل نشكره لكل من قام به في الهند وغيرها فمن شاء فليؤلف له جمعية مستقلة ولينشئ له ما شاء من الجرائد بما شاء من اللغات . واما خدمة الكعبة والحرمين الشريفين فيجب ان يكون بمنزل عن السياسة واهلها . وهو عمل تخدمه جميع الجرائد الاسلامية في جميع الاقطار وتنشر لجمعية ما شاءت من غير أجره فلا يحتاج الى جريدة خاصة .

ان مساعدة الدولة بالمال والنفس وبث فكرة الجامعة الاسلامية بوشك ان تقاومه حكومة تلك البلاد وتبطله وتصادر جريدته ، فاذا كان ملصقا بجمعية خدام الكعبة بوشك ان يكون شؤماً عليها وسبباً لزوالها . لاجل هذا نحب ان تكون بمنزل عن السياسة . وما دما نرى هذا الرأي فالتا تصح لكل مسلم أن يقاوم هذه الفكرة الجديدة التي عزم عليها جمعية خدام الكعبة ، لتكون جمعية خيرية محضة ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجع الحق والمصلحة على الهوى .

﴿ مفاسد المتفريجين ، في أمر الاجتماع والدين ﴾

يهاجم الاسلام والمسلمين جيش خارجي من دعاة النصرانية ، وحيش آخر داخلي من دعاة التقاليد الافرنجية . والثاني أنكى من الأول وأضر ، وأدهى وأمر ، لأن جل أفراده من المارقين الذين يعدهم المسلمون منهم وما هم منهم ، ولسمعون عدوا خارج الدار ، أهون من عدو واحد في الدار . فقد تمر السنون ودعاة النصرانية تبسج أصواتهم من الصباح بالخطب والجدل ولا يقع في شركهم في الفطر الكبير الا واحد أو آحاد يلجئهم الفقر الى ان يكونوا من خرافهم ، لانهم يجدون من المرعى عندهم مالا يجدون عند غيرهم . وقد ورد في الحديث « كاد الفقر ان يكون كفرا » وقلما نجد واحدا من هؤلاء الخراف يأنس مرعى له خارج دمنتهم الا ويتفلت منها وأما هؤلاء المنافقون المتفريجون فانهم يفتشون المسامين بأنهم منهم ، ينفعهم ما ينفعهم ويضرهم ما يضرهم ، وانهم لنا يدعونهم الى الترفي عما هم عليه الى مدينة أعلى وحضارة أسمى ، وهي أن يكونوا مثل الافرنج في عزهم وروثهم وذاخرفهم ، وبحسبون اصغر عقولهم ، وقصر نظرهم ، ان ما يفوقنا به الافرنج من الثروة وأسباب القوة ، قد جاءهم من رقص نسائهم مع رجالهم ، ومن اختلاطهم بهم في مجاهمهم ومحافلهم ، - أو من عدم مبالاة كثير منهم بالدين ، وان كان الا كثرون يتعصبون له ويبدلون له الملايين . - أو من عائلتهم في طعامهم وشرابهم وأزيائهم ، وفسقهم وفجورهم ، واجتماعهم وافتراقهم ، فطفقوا يقلدوهم في شر ما عندهم ، ويدعون المسلمين الى تقليدهم في أمثال هذه الظواهر ، على ان منها ما هو من سيئات مدققتهم وقبائحها التي ينكرها عليهم حكماؤهم وعقلاؤهم ، ومنها ما هو مناسب لطبيعة بلادهم وأجاليهم دوتنا ، ومنها ما لا نفع فيه ولا ضرر لذاته ولكنه يضرنا من حيث هو تقليد لهم يضمف روابط القومية ، ومشخصاتنا الاجتماعية ، ويحقر أمتنا في أنفسنا وبمعظم أعمهم فيها ، فيكون تمهيدا لقبول سيادتهم علينا بغير امتعاض ، دع ما يتوقف عليه البقاء من الجهاد .

وقد قوي هجوم هؤلاء المتفريجين في فاتحة هذا العام فكان أشد مما كان عليه في العام الماضي ، فكان شأنهم معنا كشأن دعاة النصرانية سواء . ومنبت هذه الفتن ومطلع رؤوس شياطينها الآستانة ومهر ، وقد اشتركت المدينتان في مسألة الدعوة الى تهتك النساء باسم تحرير المرأة ، وامتازت الآستانة بالغلو في تصفية الجنسية ، وقطع ما امر الله به ان يوصل من الوشائج الدينية ، بمثل كتاب (قوم جديد) و (ترجمة القرآن) بالتركية وغير ذلك .

مسألة تحرير المرأة أو تهتكها

إن الاستانة ومصر فرنسا وهان في تهتك النساء وفي تجري المتفرجين على ذلك، وقد نشر بعض الشبان في الجرائد المصرية دعوة الى جمعية تسعى لهتك ما بقي من آثار الحشمة التي يسمونها حجابا وإبطال ذلك بالفضل، وعقدوا اجتماعا في ادارة (الجريدة) التي هي لسان حالهم واقنعوا بعض النساء بحضوره حاسرات فهجم بعض الشبان عليهن لئلا يهتن وتقبلن فتنهم آخرون. وقد اختلفت الروايات علينا في تفصيل ما كان في هذا الاجتماع فلا يحزم بشيء منه ولا فائدة في شرحه.

قام هؤلاء الشبان بهذه الدعوة في وقت جاءت فيه البرقيات الأوروبية ببيان ضرب من ضروب فضائح اختلاط النساء بالرجال ما كان يذاع مثله من قبل. وهو أنه قد اقتضت عدة من العذارى اللواتي يتلقين العلوم العالية في مدارس المانية الجامعة. هذا وإن الألمانين أشد عناية من السكسونيين - دع الالبيين - في الترية الدينية والصيانة المنزلية. وإن كثيرا من الدعاة الى تهتك النساء الذي يهرون عنه بتحرير المرأة، لا ينفون إلا أن يمدوا السيل لأشبههم للتمتع بالحسان من ثيات وابكار، وقليل منهم يريد الظهور بلباس المصلح المدني وهو عاجز عن كل اصلاح فلا يرى أهون عليه من اللغط بالكلام في هذه المسألة، لأنه لا يتوقف على علم ولا عمل، فما على الاغط إلا أن يبرز ما كتب غيره من قبل في قالب جديد، ويزيد عليه من لغو الكلام ما يشاء أن يزيد.

يقول لي أهل الصيانة مالك لا ترد على ما يكتب هؤلاء المفسدون، فتك نطلب، وإليك نرجو، أن تتبع حوارهم، وقلم أظفارهم، وإني أرى أن الذين قاموا في وجوههم صائحين متهكمين قد كالألهم الصاع صاعين أو عدة أصع، وليس عندهم شبهات قوية تحتاج الى علم واسع وحجج قيمة. بل لا يكاد يفهم مرادهم من كلامهم، ولا أواهم يبينون ما يريدون. فليست المرأة مستعبدة فيكون طلبهم تحريرها طلب حق لها شرعي أو ثقلي، وليست محجوبة في مصر حجابا مانعا لها من التصرف والرياضة ولا التبرج المذموم أو غير المذموم بل هي تمل ما تشاء. إلا أن القاعدة العامة في نساء الأغنياء والنوسطين في المدن أنهم لا يحضرون أندية الرجال ومجامعهم العامة، رأيا المجالس الخاصة والمحاكم ومحال التجارة فيحضرها كثير منهم. وأنهم لا يخلون بالرجال الا حباب في البيوت الا شذوذا. فالظاهر أن هؤلاء المتفرجين يطالبون الآن بإبطال هاتين العادتين دغمة واحدة. ولا يشك ذو عقل أن ذلك مما يستشري به الفساد، وتغلق به فوضى الاعراض، وليس له حنة تمحو سيئة من سيئاته، على أن دفع

المفاسد مقدم عقلا و عقلا على جلب المصالح ، وابن هي في مسائلنا .
 إن نساءنا في حاجة الى علم وأدب تتقف بهما عقولهن ، وتصلح بهما عاداتهن ،
 ويقدرن بهما على تدبير المنازل وربية الاولاد ، ويكن عوناً للرجال على تجديد حياة
 الامة الاجتماعية بمقوماتها ومشخصاتها من الدين واللغة والعادات الحسنة . ولا يتم هذا
 الا بتأليف جمعية من أهل البصيرة والرأي تنشئ المدارس الداخلية للتعليم والربية الدينية
 والمدنية بالعمل . وجمعية أخرى للنساء المتعلقات بالمهذبات غير المفتونات بالتفرنج تهتم
 بإصلاح البيوت الموقت . والمتفرنجون لا يطلبون هذا وإنما يريدون ان ينسلخ جميع المسلمين
 مما بقي من عاداتهم ويقلدن نساء الافرنج في الاختلاط بالرجال غير الحارم في السروب والطماع
 والأندية والملاعب والملاهي والمتنزهات ، وما يتبع ذلك من العادات في الزي والمعيشة .
 ولو فرضنا ان جميع ما ينسلخن منه بهذه الصفة قبيح أو ضار من بعض الوجوه ،
 وجميع ما يدخلن فيه حسن في ذاته ونافع لاهله ، لما صدنا ذلك عن إنكار هذا
 التحول والاقبال ، لما يترتب على التغيرات القومية من المضار وضعف مقومات الامة
 ومشخصاتها ، وتراخي روابطها وانقسام عري جامعها . ونأهيك به اذا كان تقليداً
 لامة أخرى تراها أرقى منها . فكيف اذا كان ما يطلب من نساتنا التحول اليه إما
 قبيح ضار لداته أو ضار بامتادون الافرنج

ان الضرر في تفرنج نساتنا أنواع : ديني وسياسي واجتماعي واقتصادي ، ولا يمكن
 شرح هذا في جملة كهذه . ولكن التفرنج فتنة ، ولكل جديد لذة ، ونحن نرى
 ان ما يطلبه المتفرنجون لنساتهم من هنك الحجاب الرقيق الخائل دون ثياب الختم والبرقع
 ما ذكرناه من بقايا العادات - قريب غير بعيد ، فقد بدأ به بعضهم ولا سيما في
 سريان التقليد فيه . بأن الذين يسافرون بنساتهم الى أوربة يلبس نساتهم ما يلبس
 الافرنج ويأكلن مع الرجال ويجلسن معهم في الملاهي والملاعب ، ومنهم من يلبس
 نساءهم بلباقه أصدقائهم ومجالستهم ومؤاكتهم ، يكون هذا بينهم تبادلة . وكل من
 لم يرض بعض الشبان لانه تدرج وهم يطلبون الطفرة . ومن تضم عريضة افرنج
 الهاتكين لأحسن ما بقي من عادات نساتهم لرأى وسمع من الفضائل المتحاشية
 وتدوينه . وأنا ليحزنا ان نرى هذه المدوى قد سرت الى بعض اربابنا

وجملة القول ان متفرنجي مصر والآستانة يستعملون تقبيل النساء على الخدود
 والجمع بينهما وبين الرجال تقليداً الافرنج ، على انه ليس لهم ولا مستحسن
 وتربيتهم وآدابهم وأخلاقهم الموروثة يجعل التقليد البع كساداً

لا نفي بأشد ما نحتاج الى أنواع مثله من مزايا الأفرنج وفضائلهم لان في تحصيله مشقة، بل نعتي بمحاكلهم في مظاهر الزينة واللباس، وطائفاً أهملت اللذة والزينة الامم القوية، فكيف يكون فعلها بالامم الضعيفة؟ ان مسامي الهند من أشد أهل الارض مبالغة في حجب النساء ولم يمنع ذلك الطبقة المصرية منهم ان تكون أرقى من مثلها في الآستانة ومصر. ولكن من كان له هوى في شيء لا يلتفت الى ما يخالف هواه، وان كان مؤبداً بأقوى الحجب ومبيناً بأوضح الشواهد والأمثال. فالعصريون والترك يريدون بالتفرنج ان يكونوا مثل الأفرنج، هو الذي يبعدهم عن ان يكونوا مثله، بما يجعلهم عالة عليهم، ويذهب بما بقي من استقلالهم السياسي، لانه منوط باستقلالهم الاجتماعي والحلقي، ان السواد الأعظم من الشعب التركي والشعب المصري يحقت هذا التفرنج، ولكن ليس للسواد الأعظم زعماء يستعملون قوته المبنوية في المحافظة على مقومات الامة ومشخصاتها مع اقتباس ما يقويها من الفنون والصناعات المصرية. وأما المتفرنجون فهم على قنيتهم يمتزجون بالأفرنج أنفسهم، وناهيك بنفوذهم وسمطانهم، وكون جل رجال الحكومة من سبك معاملهم. ولا حظ لهؤلاء الأفرنج الا جعل جميع ممالك الشرق مزارع ومناجم لهم، وأهلها فلاة لخدمتهم، وسوقاً لأنواع سلعهم. ولله درهم! فان أرقى ما وصلوا اليه من العقل والعلم هو ما جعلهم يتصرفون في الامم والشعوب كما يتصرفون في الحيوان والنبات والجماد.

هذا ما أحبيت اذكر به السكارهين لهذا الغلو والاستهجال، بالجمع بين النساء والرجال، وهو لا يغير شيئاً من هذه الاحوال، وانما الذي يمكن ان يغيرها هو العمل الذي أشرنا اليه دون سواء.

العصبية الخفية

ان روح التعليم الأوربي والسياسة الاوربية أحدثت في امم الشرق كلها نزعة جنسية. وقد كان المسلمون أبعد الناس عن هذه النزعة فلذلك كانوا ضعافاً فيها، وكان العرب أندهم بعداً عنها وضعفاً فيها، ولذلك كتبت في مقالات (العرب والترك) التي نشرتها في الآستانة ثم في المنار ان تكوين عصبية جنسية للعرب لا يمكن ان يكون الا من عمل الآستانة ان في الترك من غلاة العصبية الجنسية من يعز نظيرهم في غيرهم، واتفق ان كان زعماء جمعية الاتحاد والترقي من هؤلاء الغلاة. فلما صار اليهم أمر الدولة، اندفعوا اندفاعاً شديداً في تقوية العصبية التركية، ومحاولة تربك جميع الشعوب العثمانية، فهيجوا بذلك عصبية هذه الشعوب حتى نجحت قرون الفتن، وسفكت الدولة دماء غزيرة في

بلاد الارنؤوط و بلاد العرب ، و انتهت سياسة الشدة والقوة بحرب البلقان التي خذلت بها الدولة ، وورث البلقانيون جميع ولاياتها الاوربية الا (ادرنه) فبقيت لها ، وبلاد الارنؤوط فانها استقلت بنفسها . فاضطر الاتحاديون الى سياسة المداراة وتعزز الجنسية التركية في نفسها بالمدارس ونشر الكتب والرسائل والصحف ، مع ترك سائر الشعوب العثمانية تخبط بجملها اذا لم ترض الاصطباغ بالجنسية التركية في مدارس الدولة الرسمية ، والمدارس الاهلية التركية ، التي يجمعون لها الاعانات بنفوذ الدولة والحلابة من العثمانيين ومن مسلمي الممالك الاجنبية

يرى هؤلاء العاملون انه ليس في طريقهم عقبة تحول دون بلوغ المقصد بالسرعة التي يبعون من وراء هذا العمل الا حاجة الترك الى اللغة العربية لاجل الدين . و يرون ان هذا الدين ولغته مما يميّز تكوين أمة تركية ودولة تركية محضة على الطراز الافرنجي الفرنسي ، فاجتهدوا في ازالة هذا المانع بمزيلين (أحدهما) ترجمة القرآن بالتركية ودعوة الترك الى الاستغناء عن القرآن العربي بما سموه القرآن التركي ، واذا استغنوا عن القرآن يستغنوا بالاولى عن غيره من كتب الحديث والتفسير والفقه وسائر العلوم والفنون العربية (الثاني) نشر الكتب والرسائل التي تجمل الجنسية التركية أعلى وأسمى في النفوس من رابطة الدين تمهيداً لنسخ الثانية بالاولى ، بمؤونة الكتب الكثيرة التي نطعن في الاسلام ككتاب تاريخ الاسلام الذي ألفه أعداء الاسلام من الايطاليين وترجمه الدكتور عبد الله بك جودت بالتركية ، فكان له تأثير شديد عند طلبة المدارس العالية ولاسيما مدرستي الطب والحرية ، الذين لا يكادون يعرفون من الاسلام شيئاً وقد نشروا في الآستانة كتاباً تركياً اسمه (قوم جديد) كان أنصح معبر عن رأي هؤلاء المتفرنحين من الترك ، ومما جاء فيه الانكار الشديد على وضع اسماء الخلفاء الراشدين وسبطي الرسول (رضوان الله عليهم) في ألواح معاقلة في قباب المساجد التركية مع ان أولئك الرجال من العرب ، فالكتاب ينكر عليهم ذلك ويقول للترك أليس عندكم من الخلفاء والرجال المظام من الترك من هم خير من أولئك العرب . انزعوا هذه الاسماء وضموها مكانها اسماء عظام الترك مثل طلعت بك وفتح بك وانور بك « صلوات الله عليهم » (??) ويقول إن كل من يساعد رجال الدولة على الاعمال العسكرية يكون أفضل من الأئمة المجتهدين ومن شيخ الاولياء العارفين الشيخ عبدالقادر السبكياني الخ وهذا قليل من كثير ، والامر لله العلي الكبير .

(تنبيه) : سقط في الآية لفظ « في » في ص ١٠٧ السطر السادس فليصلح